عبير
روايات رومانسية عالمية
ماري ويبرلي
...وعاد في المساء
nlo
www.liilas.com/vb3
nlo
liilas.com

...وعاد في المساء

بعض
الناس يتعودون تمضية
العطلة في مكان معين ويحافظون على
هذا التقليد كل عام. هكذا كانت ساشا التى لم
تكن تدرى ما ينتظرها فى المنزل المعروف باسم
لافاليز فى الريف الفرنسى. هناك كانت تمضى
عطلتها كل عام، وهذا العام وجدت نفسها اسيرة اشخاص
غريبى الاطوار. حارسها مارك الروسى الاصل، القاسى
الذى لا يرحم. الى اين يستطيع ان يتبعها، وكيف
تستطيع ان تنساه؟

جمهورية مصر العربية - القاهرة
١٠ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE MAN AT LA VALAISE

١ـ العطلة المخطوفة

بدأت تظهر من بين الأشجار الكثيفة معالم لافاليز، أحد المنازل القديمة، و ساشا تقود سيارتها الستروين الصغيرة وتقترب من نهاية الرحلة.

وارتسمت على شفتيها ابتسامة وهي تمسك بعجلة القيادة، فكان الطريق في هذه المنطقة وعراً إلى حد ما. ودخلت في السيارة أحد المنحنيات وقد أنساها شعور الوصول إلى المنزل الذي تقصده لنفساء، عطلتها متاعب الرحلة بالطائرة إلى مطار نيس ثم الرحلة الطويلة التي أعقبت ذلك في السيارة التي استأجرتها من المطار، وتساءلت ساشا إذا كانت ستجد السيدة كاسيل في انتظارها وقد اعتادت السيدة كاسيل أن تقدم للقادمين عصير الليمون المثلج وربما وجبة خفيفة من اللحم والخبز المقدد والزيتون.

كان الطريق وعراً. فقد كان ممراً حجرياً يصل المنزل بالطريق العام وكان الجو حاراً للغاية بالنسبة الى هذا الوقت من العام في نهاية شهر أيار/مايو وقد بدت السماء كأنها على وشك أن تمطر وتمنت ساشا أن تمطر السماء فعلاً حتى يخفف ذلك من شدة حرارة الجو وأخرجت منديل ورق من حقيبتها ومسحت وجهها الذي امتلأ بحبات العرق وهي تتعجل الوصول إلى المنزل لتأخذ حماما بارداً. صحيح إن المنزل القديم لم يكن يحتوي حماماً بمعنى الكلمة ولكن كانت فيه غرفة صغيرة مزودة بدوش. وبدا لساشا وهي تمشي في الممر الضيق المؤدي الى

المنزل أن الأسوار الحجرية العالية التي تحيط به على وشك السقوط. لكنها تذكرت أنها كانت هكذا دائماً منذ ثمانية اعوام حين جاءت إلى المنزل لأول مرة وكانت في ذلك الوقت في الرابعة عشرة من عمرها.

وحولت نظرها لحظة عن الطريق وهي تنظر إلى طير جميل وقف على أحد النتوءات الحجرية البارزة في السور وعندما التفتت إلى الطريق من جديد فوجئت بشيء غير متوقع: دراجة بخارية تندفع مقبلة بسرعة من ناحية المنزل ثم تدور لتقف فجأة على بعد خطوات من سيارتها. فضغطت بقدمها بطريقة لاشعورية على كابح السيارة لتوقفها.

وأعقب ذلك فترة من السكون يشبه ذلك الذي يسبق العاصفة وبعدما تمالكت أعصابها من جديد نظرت من نافذة السيارة فرأت شاباً ينزل عن الدراجة البخارية ويتجه اليها.

كان الشاب فارع القامة يصل طوله إلى حوالي ستة أقدام وكان قوي البنية بدرجة واضحة. أما وجهه الذي لوحته الشمس فاكتسى باللون الأسمر الجذاب فظهر قوياً بوجنتيه البارزتين وعينيه السوداوين وقد تهدل شعره الأسود فوق جبينه. وكان يلبس سروالاً قصيراً أزرق اللون وقميصاً تركه مفتوحاً في هذا الجو الحار وقد انتعل حذاء من أحذية الرياضة الخفيفة. وبدت ساقاه وذراعاه وقد كساها الشعر الكثيف. كان مظهره بوجه عام ينم عن القوة والرجولة.

ونظرت ساشا إلى وجهه فلم تلمح أية مظاهر للغضب بل بدا لها كأنه يبتسم. وفتحت ساشا باب سيارتها لتقف في مواجهة الشاب الذي بدا فارعاً بالنسبة اليها برغم كونها لم تكن قصيرة وابتسم الشاب وهو يقول بالفرنسية:

«أنا آسف يا آنسة وأرجو ألا أكون قد سببت لك أي انزعاج، لكنني لم أكن أتوقع أن أرى أي شخص هنا فهذا الطريق كما ترين ممر خاص.»

فأجابت ساشا بالفرنسية أيضاً:

«نعم...اعرف أنه ممر خاص.»

قاطعها الشاب قائلاً بالانكليزية:

«أوه...أنت إنكليزية!»

نظرت ساشا إليه وقد بدت على وجهها معالم الحيرة وهي تقول:

«نعم...إنني إنكليزية...ولكن...كيف...عرفت ذلك؟»

فضحك الشاب الأسمر وبدت أسنانه ناصعة البياض وسط وجهه الذي لوحته الشمس:

«عرفت ذلك من لهجتك...لا يستطيع أحد أن يخطىء في معرفة اللهجة الانكليزية...أليس كذلك؟»

ونظرت إليه ساشا من جديد وكان واضحاً لها أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون هذا الشاب الجذاب الذي يقف مواجهتها إنكليزياً أو فرنسياً وودت لو عرفت جنسيته، لكنها لم تسأله واكتفت بالرد قائلة:

«نعم هذا صحيح...لكنني آسفة أيضاً...فلم أتوقع أن أقابل أي شخص في هذا الممر لأنني أعتقد أنه يؤدي فقط إلى المنزل الذي أقصده.»

ورد الشاب قائلاً:

«هو كذلك فعلاً...ولكن لماذا؟»

ولحت ساشا في وجهه [illegible] تعبير ينم عن الضيق ولكنه اختفى سريعاً فردت قائلة:

«لأنني متجهة إلى هذا المنزل.»

ونظرت إليه ساشا وهي تبتسم فقد كان شاباً وسيماً ولو أنه كان بادي الرجولة والخشونة وشعرت ساشا وهي تنظر إليه برجفة خفيفة لكنها لم تستطع أن تعرف سبب ذلك.

ورد الشاب وقد بدأت الابتسامة تغيب عن وجهه:

«لا بد أن هناك خطأ ما...فإنني أقيم في هذا المنزل أيضاً»

وتوقف قليلاً قبل أن يضيف:

«مع عائلتي...وسمكثت فيه لعدة أسابيع.ثم أضاف وهو يهز كتفيه بطريقة بدت لها جذابة، ولذلك لم تدعه ساشا يكمل كلامه فقد بدأت تشعر بالضيق فردت عليه في لهجة حازمة:

«لا...لا...إنني آسفة...ولكن معي رسالة هنا في حقيبتي.»

وانحنت ساشا تبحث في حقيبتها عن الرسالة لتريها للشاب، ولذلك فقد فاتها أن ترى أحد الرجال يأتي من ناحية المنزل وفوجئت، وهي تعبث بمحتويات الحقيبة بصوت رجل ينادي على الشاب،باسم مارك ثم يقول شيئاً بلغة لم تعرفها.

ونظرت ساشا إلى أعلى لتفاجأ على بعد خطوات منها برجل رمادي الشعر أتى على ما يبدو من المنزل في حيرة ينظر إليها وكأنه فوجئ، بوجودها مع الشاب.

والتفت الشاب إلى الرجل وتحدث إليه ببضع كلمات سريعة غاضبة بلغة لم تكن غريبة على مسمعها وإن لم تكن تعرف ما هي فاتجه الرجل ناحية المنزل من جديد وهو يلوح بيديه كأنه يعتذر ويقول أنه لم يكن يعرف.

والتفت الشاب إلى ساشا وفي هذه اللحظة إكتشفت ساشا سببين مهمين أولها أن وجه الرجل الرمادي الشعر ليس غريباً عليها وربما تكون رأته من قبل مرة واحدة، والثاني أن هذا الشاب الذي يقف معها اسمه مارك وبدا لها هذا الاسم جذاباً.

وبدا لساشا أن شيئاً ما حدث وإن لم تكن تعرف ما هو وبدا الشاب نافذ الصبروأشار إليها بيده، وهي مازالت تبحث عن الرسالة في حقيبتها بما يعني أنه لا داعي للبحث فالمسألة لم تعد تهمه...ثم مد يده ليمسك بذراع ساشا وهو يقول:

«اسمعي يا آنسة...يبدو واضحاً أن هناك سوء تفاهم. تعالي معي إلى المنزل

لنبحث هذا الأمر بينما نتناول بعض الشراب. فالجو حار هنا.»

وشعرت ساشا بيد دافئة تكاد تحرق ذراعها فنظرت إليه والتقت نظراتهما وفي هذه اللحظة رأت في عيني الشاب شيئاً أفزعها قليلاً وجعلها تدرك على الفور أنه يجب عليها أن تمضي من هذا المكان. ولم تكن تعرف تماماً ما هو هذا الشيء، ولكن كل ما تعرفه أن شعوراً قوياً بداخلها كان يحذرها من هذا الشاب ويدفعها إلى الهرب بعيداً عن المكان.

حسناً حاولت ساشا أن تتماسك وأن تبدو طبيعية بقدر الامكان وهي تقول له:

«حسناً...ربما كنت على حق...وربما يكون حدث خطأ ما...في أي حال لي عمة تقيم في كان ويمكنني أن أذهب إليها وزيارتها و...»

ولم يدعها الشاب تكمل حديثها بل قاطعها سريعاً وهو يقول في لهجة لطيفة:

«لا...لا أعتقد أنه يمكنك ذلك. فليس من العدل أن أدعك تعودين أدراجك بعد كل هذه الرحلة الطويلة. تعالي الآن.»

ثم أضاف وهو يهز كتفيه بالطريقة الجذابة نفسها قائلاً:

«ستعود إلى المنزل الآن، حيث نقرر ما يمكن أن نفعله. وأنا أكرر لك أسفي.»

والتفتت ساشا إلى سيارتها وودت لو أنها عادت أدراجها فوراً برغم مشقة الرحلة فقد ازداد هذا الشعور الغامض الذي يدفعها إلى الاسراع بالهرب.

واتجهت ساشا إلى السيارة ومدت يدها إلى الباب لتفتحه وهي تنظر إلى الشاب، بدا لها الآن كما بدا لها لأول وهلة جذاباً إلى درجة كبيرة. هناك شيء آخر يبدو عليه الآن لا تستطيع أن تصفه ولكنه يملأها بالخوف. ونظرت إليه وهي تحاول أن ترسم على شفتيها ابتسامة وهي تقول:

«لا بد أن أذهب الآن...»

لكن الشاب المدعو مارك تقدم بسرعة لينحني داخل السيارة ويخطف المفاتيح منها ثم يطوّح بها في الهواء ليلتقطها من جديد قائلاً:

«لا...ليس الآن»

كانت ساشا فتاة شجاعة واسعة الحيلة وقد تمكنت مرّة من القبض على مجرم كان يحاول مهاجمة احدى السيدات وسرقتها فضربته ساشا بكل قوتها وأوقعته على الأرض إلى أن تمكن الناس من الامساك به. ولكن شيئاً ما بداخلها كان يقول لها أن هذا الشاب يختلف تماماً عن المجرمين وربما يكون نوعه فريداً. لذلك حاولت التماسك ورفعت رأسها في تحد واضح وهي تقول له:

«أنا لا أدري تماماً ما هي هذه اللعبة التي تحاول أن تقوم بها...ولكنني أريد مفاتيح السيارة...الآن...لو سمحت.»

ومدت إليه يدها وهي تنظر في عينيه الداكنتين. ولكنه نظر إليها وقد لاحت على شفتيه ابتسامة وهو يقول في تعجب:

«لعبة...إنني آسف فأنا لا أفهم ما تقصدين بذلك...كل ما أريده...»

ولم يكمل حديثه فقد مدت ساشا يدها بسرعة في محاولة منها لاختطاف مفاتيح السيارةالتي كان يمسك بها بغير اكتراث فأسرع الشاب يمسك بيدها بلطف ولكن بحزم وقوة، فتخلصت منه لتطلق يدها وقد تسارعت دقات قلبها وسرت في جسمها قشعريرة الخوف وظلت لحظة لا تدري ماذا تفعل ثم فجأة وجدت نفسها تندفع لتركض مبتعدة عن الشاب، لتهبط الممر الحجري الضيق متجهة إلى الطريق الرئيسي الذي كان يبعد نحو ميل...أدركت في هذه اللحظة ما يحدث حولها وأدركت أنه يجب عليها أن تهرب بأسرع ما يمكن وليحدث ما يحدث، ولم تكن ساشا تدري وهي تجري على الممر الحجري وقد أحاطت بها الأسوار العالية: إذا كان ما يحدث لها مجردكابوس سرعان ما يزول أم هو حقيقة واقعة. ولكنها أفاقت إلى الشاب يتبعها ويمسك بها بقوة. وحاولت ساشا

التخلص منه وأخذت تركله بعنف وتضربه بيديها في محاولة لابعاده بدون فائدة...وكانت ساشا تعرف أنها لن تفلت فقد كان قوياً، لكنه على الأقل كان يجب عليها أن تحاول.

وأخيراً قال الشاب:

«أرجوك...لا داعي للمقاومة...إنك بذلك لن تؤذي غير نفسك...تعالي يجب أن تأتي معي الآن ...ألا تدركينّ ذلك، لو أنك لم تري...لو أنت جئت في وقت آخر...لو...»

ثم توقف الشاب فجأة عن الحديث كأنه أدرك أنه أفصح أكثر مما يجب.

وسحبها معه إلى أعلى الممر في الطريق إلى المنزل وهو يحيطها بذراعه بقوة، وفكرت ساشا في مرارة بأن أي شخص يراها الآن وقد التصقا ببعضهما وهو يحيطها بذراعه لا بد سيعتقد أنهما عاشقان وتمنت ساشا لو أن الأمر كان هكذا فعلاً.

وحاولت ساشا التقاط أنفاسها وهي تقول في عصبية:

«ابعد يديك عني.»

وأبعد الشاب يديه عنها فوراً وهو يقول:

«حسناً... ولكن إذا حاولت الهرب مرة أخرى لن أستمع إلى كلامك بعد ذلك، وأرجو أن تفهمي هذا جيداً.»

واقتربا في هذه اللحظة من المنزل وبدا لساشا مألوفاً لديها ويوحي بالأمان كما عهدته من قبل. أما الآن فإن الوضع يختلف ولم تكن تعرف ما ينتظرها فيه.

ولم تدهش ساشا هذه المرة وهي ترى رجلاً آخر يقف أمام باب المنزل. وعندما اقتربا منه استطاعت ساشا أن تراه جيداً ولم تدر لماذا شعرت بخوف مبهم. وسمعت ساشا الشاب المدعو مارك يهمس إليها قائلاً:

«لا تخافي... إنه لن يؤذيك.»

وأخذت ساشا تفكر بسرعة انه لا بد أن السيدة كاسيل موجودة في مكان قريب. فإنها تتولى إدارة المنزل دائماً في حال تأجيره لأي شخص. وأخذت تطمئن نفسها بأن السيدة كاسيل ستضع الأمور في نصابها ويجب عليها أن تفعل ذلك.

وأفاقت ساشا من أفكارها على صوت الشاب وهو يقول لها:

«تفضلي بالدخول.»

ولاحظت بشيء من الراحة اختفاء الرجل الذي كان يقف في الباب، ولم تجد ساشا مفراً من الانصياع لأمر الشاب الذي فتح باب المنزل لتدخل. وشعرت في هذه اللحظة وهي تخطو إلى داخل المنزل وكأنها تساق إلى حتفها. وتوقفت للحظة فقد كان المكان مظلماً للغاية بالمقارنة مع ضوء الشمس الساطع في الخارج. وشعرت وهي تطأ عتبة المنزل بأن المكان ما زال مألوفاً لديها كما كان دائماً وأن المنزل القديم ما زال كما هو على الرغم من وجود بعض الأغراب فيه.

وتيقظت من جديد على صوت الشاب وهو يقول لها:

«أرجوك... إجلسي... هل ترغبين في قدح من الشاي أو القهوة؟»

وعلى الرغم من ساشا كانت تشعر بعطش شديد إلا أن الخوف والشك كانا يملآن نفسها فردت بسرعة وبدون تفكير:

«حسناً... ولكن شرط أن أقوم أنا باعداده.»

وضحك الشاب بطريقة لطيفة وبصوت عال وقال وهو يرجع برأسه إلى الخلف:

«هل تعتقدين أنني سأضع لك مخدراً في المشروب... حسناً تعالي معي.»

قال ذلك وهو يشير إلى المطبخ الذي يفتح على غرفة الجلوس الكبيرة الرئيسية في المنزل. واتجهت ساشا معه إلى المطبخ وهي تتلفت وتجول ببصرها في أنحاء المكان لترى إذا حدثت فيه بعض التغييرات لكن كل شيء بدا لها كما كان دائماً

حتى كان بوسعها أن تقسم أن حزمة البصل المدلاة على الحائط ما زالت مكانها منذ قامت بزيارة المنزل آخر مرة.

وتنهدت ساشا وهي تتجول ببصرها في أنحاء المطبخ. لون الحائط كما هو لم يتغير، الموقد القديم نفسه، والخزانة الضخمة.. كل شيء كما هو وكأن شيئاً جديداً لم يحدث على الاطلاق.

وانحنى مارك ليلتقط علبة من الخزانة وفتحها وهو يقول:

«هل ترغبين في شرب الشاي... أعرف أن الانكليز يحبون الشاي، أليس كذلك؟ وأعتقد أنك أيضاً تفضلينه.»

وأجابت ساشا بالايجاب وقبل أن تصل إلى الابريق الموضوع فوق الموقد كان مارك قد سارع برفعه وتوجه إلى الحوض يملأه بالماء.

ووقفت ساشا تراقبه وهو يتحرك بسرعة ليشعل الموقد ويضع الابريق فوقه ثم سألته وهي ما زالت تشعر بلمس ذراعه حول خصرها:

«من أين أتيت؟»

فالتفت مارك إليها وهز رأسه وهو يقول:

«دعينا نشرب الشاي أولاً... ثم أجيب على أسئلتك.»

ولكنني أريد أن أعرف الآن.»

وفي هذه اللحظة رأت ساشا قضيباً من الخشب يستند إلى الخزانة وفكرت أنه قد يصلح سلاحاً فعالاً لو أنها ضربت مارك بقوة. ولم يكن الخوف يمنع ساشا من تنفيذ هذه الفكرة ولكن ما كان يقلقها هو أنه لم تكن تعرف بالتحديد عدد الرجال الآخرين الموجودين في المنزل.

رأت حتى الآن رجلين يبدو أنهما الآن بعيدان عن المنزل ولكن مارك أبلغها من قبل أنه يقيم مع عائلته.

وأخذت تعمل ذهنها بسرعة. ربما لا يكون أحد الرجال في المنزل الآن ولكن

ماذا لو رآها أحد وهي تهرب بمفردها بدون أن يكون مارك معها.

كان أحد الرجلين الذي قابلته في الممر الحجري يناهز الستين من عمره أما الآخر الذي كان يقف بباب المنزل فإنه أصلع وبدين ولن يمكنه الركض بسرعة للحاق بها. وعندما وصل تفكير ساشا إلى هذا الحد نظرت من جديد وبحذر شديد إلى القضيب الخشبي، فقد كانت تخشى أن يلاحظ مارك شيئاً برغم انشغاله في اعداد الشاي إذ كان يبدو لها يقظاً أكثر من اللازم

وترددت ساشا لحظة لكنها كانت تريد مغادرة المكان بأسرع ما يمكن ...أين وضع مارك مفاتيح السيارة وتذكرت أنها رأته يضعها في جيب السروال القصير الخلفي، وأخيراً قررت ساشا أن تنفذ خطتها وتضرب مارك بقضيب الخشب ثم تأخذ المفاتيح من جيبه وتهرب بالسيارة إلى منزل العمة ماري في كان حيث يمكنها أن تتصل برجال الشرطة بعد أن تشعر بالأمان وتبلغهم بأمر الرجال المجانين الذين يحتلون المنزل.

وارتجفت ساشا وهي ترى مارك يلتفت إليها فجأة وهو يسألها:

«هل تريدين بعض السكر؟»

وتلعثمت ساشا وهي تجيب بالنفي فالأمر لا يهمها الآن اذ قررت الهرب ولن تشرب الشاي في أي حال.

ووضعت ساشا حقيبتها على المائدة بصورة بدت طبيعية واتجهت إلى الحائط القريب من القضيب الخشبي الذي أصبح في متناول يدها...لكن الموقف لم يكن قد حان بعد ان كان مارك يلتفت إليها قائلاً:

«الماء يغلي في الابريق...هل تضعين الشاي؟»

فردت ساشا بالايجاب واتجه مارك إلى أحد الرفوف ليحضر الأقداح وفي هذه اللحظة أسرعت ساشا بالتقاط القضيب الخشبي وقد ملأها الخوف واليأس بالقوة ووجهته إلى رأس مارك في ضربة قوية.لكن القضيب لم

يصب رأسه بل أصاب كتفه الأيسر وتنبه مارك في اللحظة الأخيرة لما يحدث خلفه وأمكنه تلافي الضربةالقوية على رأسه.

ولم تشعر ساشا إلا والقضيب الخشبي يختطف من يدها بسرعة ويسقط على الأرض بعيداً، ووجدت نفسها فجأة وجهاً لوجه مع رجل تملكه غضب جنوني وحشي ، وشحب وجهه وسقطت ذراعه اليسرى إلى جانبه.

وتجمدت الدماء في عروق ساشا التي اندفعت تركض إلى باب المطبخ في محاولة للهرب، لكن مارك تبعهاوأمسك بها وهو يصرأسنانه وبدت على وجهها علامات الألم وهو يزمجر قائلاً:

«هكذا ...في الوقت الذي تحاولين أن تقنعيني فيه أنك بريئة.»

قال مارك هذه الجملة المبهمة التي لم تستطع ساشا أن تفهم لها معنى، وهو يسحبها إلى غرفة الجلوس ويدفعها لتسقط فوق أحد المقاعد. ووقف مارك مواجهتها وهو يدلك كتفه اليسرى بيده اليمنى، وانكمشت في مكانها فوق الكرسي تنظر إليه ولكن شعورها بالخوف بدا يخف إلى حد ما، لأنها أقنعت نفسها بأنه لو كان مارك يريد الانتقام منها لفعل ذلك في لحظات الغضب الأعمى التي أعقبت محاولتها ضربه في المطبخ.

وأخيراً قال مارك

«والآن أريد أن أعرف منك كل شيء، من أنت ومن أين أتيت، وحاذري أن تقولي غير الحقيقة، أين جواز سفرك؟»

«في حقيبتي في المطبخ»

قالت ساشا ذلك وهي لا تقوى على الكلام إذ شعرت بحلقها يجف فجأة وبدا لها، وكأن الجو ازداد حرارة.وتوجه مارك بدون أن ينطق بكلمة أخرى إلى المطبخ وعاد حاملاً الحقيبة التي قذف بها على ركبتيها وهو يقول:

«افتحي هذه الحقيبة، وأخرجي منها جواز سفرك فقط ولا شيء غير ذلك، هل

تفهمين؟»

وفتحت ساشا الحقيبة بصمت وقد شعرت أن فرصتها الوحيدة الآن للهرب من هذا المكان هي الاحتفاظ بهدوئها والتصرف بطريقة متزنة غير متهورة قدر الامكان.

وأخرجت ساشا جواز سفرها وسلمته إلى مارك فأخذ هذا يدقق النظر في الصورة الملصقة به ثم نظر إليها، كأنه يريد التأكد من ان هذه صورتها بالفعل. وأخيراً نظر إليها وهو يقول في لهجة أقلقتها بعض الشيء:

«جواز سفرك يقول أنك صحفية.»

فتلعثمت وهي ترد قائلة:

«نعم..ولكنني صحفية في...»

كانت تود أن تقول إنها صحفية في صحيفة محلية صغيرة، لكن مارك لم يدعها تكمل حديثها بل سارع بمقاطعتها قائلاً:

«إذن أنت تريدين إيهامي بأنك حضرت إلى هنا لقضاء عطلتك؟»

ونظرت ساشا إليه والغضب مازال يملأ عينيه، لكنها في هذه اللحظة رأت فيهما شيئاً آخر فقد بدأتا تزدادان بريقاً بصورة جعلت الفزع يتملكها من جديد وهي لا تدري تماماً ما الذي يحدث من حولها فردت قائلة:

«نعم..هذا حقيقي معي رسالة من السيدة كاسيل يؤيد كلامي.»

«لا يهم هذا الآن..أرجوك أن تفرغي محتويات حقيبتك كلها على الأرض.»

وشعرت ساشا بغضب مفاجيء، فأجابت وهي تنظر إليه بتحد:

«لا لن أفعل..من أنت بحق الجحيم حتى تأمرني بذلك؟»

«أعتقد أنك تعرفين الآن الاجابة على هذا السؤال..والآن هل تقومين بفتح حقيبتك أم أقوم أنا بذلك؟»

«لن تجد فيها ما يهمك.»

«حسناً، الأمر لن يستغرق طويلاً، والآن أرجوك أن تفعلي ما طلبته منك.»

قال مارك ذلك بلهجة هادئة،لكنها تنطوي على رنة تحذير فأذعنت ساشا وفتحت حقيبتها ثم أخرجت جميع محتوياتها ووضعتها على الأرض. وكان فيها تذاكر طائرة وإيصال إيجار السيارة من مطار نيس ورخصة قيادة وبعض الأدوية المهدئة للصداع إلى جانب بعض أدوات المكياج.

ونظر مارك إلى محتويات الحقيبة التي وضعت على الأرض وهو يسأل:

«هل هذا كل شيء؟»

ولم ترد ساشا عليه بل أكتفت بفتح حقيبتها وأخذت تنفضها وقربتها من وجهه ليرى بنفسه أنه لم يعد فيها شيء، فقال:

«حسناً يمكنك الآن وضع حاجياتك في الحقيبة من جديد.»

وبدأت ساشا تشعر بالارهاق اذ تكاثفت عليها عوامل الخوف والغضب والحرارة الشديدة لتصيبها بصداع شديد. وبدأت أصابعها ترتعش وهي تدفع بحاجياتها من جديد في الحقيبة فأخرجت قرصين من الأسبرين وهي تتحاشى النظر إلى مارك لكنها قبل أن تضعهما في فمها سمعت مارك يسألها:

«ماذا تفعلين؟»

فأجابت ساشا:

«إنني أشعر بالصداع..ثم أردفت وهي تنظر إليه:»

«وأريد أن أخذ قرصين من الأسبرين..هل تمانع في ذلك؟»

فأشار إليها برأسه موافقاً ولمحت ساشا عضلات فكه ترتعش وهو يقول وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة:

«أرجو ألا يكون صداعك مؤلماً كما هو الحال مع كتفي...»

ثم أضاف بلطف:

«تعالي الآن..لننتهي من اعداد الشاي..اسبقيني في السير فإنني أفضل إن أراك

أمامي...»

ودخلا المطبخ ووقف مارك في فتحة الباب يراقبها وهي تقوم بصب الماء المغلي في أبريق الشاي وكانت ساشا تدرك تماماً حتى بدون أن تنظر إلى مارك أنه يقف متحفزاً للانقضاض في حالة قيامها بأي حركة.

وقال مارك :

«لا يوجد هنا حليب، بل يوجد بعض عصير الليمون الطازج.»

فردت ساشا وهي تصبّ قدحين من الشاي:

«هذا يكفي.»

ثم وضعت بعض قطرات من زجاجة عصير الليمون في الأقداح وقال مارك:

«سنشرب الشاي هنا في المطبخ..ضعي الأقداح على المائدة.»

وفعلت ساشا ما أمر به مارك الذي سحب مقعداً ليجلس في مواجهتها حول المائدة الخشبية الكبيرة التي تتوسط المطبخ. ثم أخرج من جيبه علبة سكائر وهو يسألها:

«هل تودين التدخين؟»

فأجابت ساشا وهي تأخذ رشفة من الشاي لتبلع بها الأسبرين بأنها لا تدخن...وأخذت تراقب مارك وهو يجلس أمامها يدخن سيكارته وأخذت تسائل نفسها ما هذا الذي يحدث حولها وانتابها شعور بالحيرة لم تعرف مثله من قبل طوال حياتها...كانت تتمنى الوصول إلى هذا المنزل لقضاء ثلاثة أسابيع في هدوء حيث يمكنها أن تمارس هوايتها في الرسم والسباحة والتمتع بأشعة الشمس والابتعاد عن نيجل في محاولة لاقصائه تماماً عن حياتها، ولكن الآن ، إنها لا تود شيئاً أكثر من الابتعاد فوراً وبأسرع ما يمكن عن هذا المكان. وتذكرت العمة ماري وفكرت في هذه اللحظة أن تذهب إليها في شقتها في كان التي كانت تبدو لها كمرفأ أمن في هذه الظروف التي تمر بها. وكانت قد وعدتها

بزيارة أما الآن فإن هذا الأمر يبدو مستحيلا.

وتوقفت ساشا عن الاسترسال في تفكيرها ونظرت إلى مارك تسأله فجأة:

«أرجوك..لو سمحت أريد أن أعرف لماذا تحتجزني هنا...لم أفعل شيئاً...وقد حضرت إلى هذا المكان لقضاء عطلتي.»

وامتلأت عينا ساشا بالدموع وهي تقول هذا. وربما كان بسبب ارتشافها جرعة كبيرة من الشاي الساخن، لكنها لاحظت أن وجه مارك بدأ يلين قليلاً وهو ينفض دخان سيكارته في المنفضة الزجاجية الموضوعة أمامه ثم نظر إليها قليلاً بعد لحظة:

«أميل إلى تصديقك، وأتمنى أن أصدقك بالفعل، فإنني أشعر أنه ليس من المناسب اطلاقاً الاحتفاظ بك هنا في المنزل، لكنني أجد نفسي مضطراً لذلك إذ لا يمكنني المجازفة. في أي حال ستتمكنين من قضاء عطلتك بعد بضعة أيام ولكن حتى يحين ذلك الوقت ستقيمين في هذ المنزل كضيفة.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بيأس شديد وانتابتها برودة مفاجئة. وظلت تنظر إليه بعض الوقت وهي لا تقوى على الكلام، وأخيراً تساءلت في صوت خافت:

«ولكن لماذا... لماذا؟»

«اذا كنت تعرفين السبب كما أعتقد فلا حاجة بي إلى الرد على سؤالك، واذا لم تكوني تعرفين حقاً فمن الأفضل لك أن تظلي كذلك.»

وهزت ساشا رأسها في يأس وأحست بالدموع الحقيقية تندفع إلى عينيها، اذ كانت مرهقة وجائعة وحضرت إلى هذا المكان طلباً للراحة بعد المشادة العنيفة التي وقعت بينها وبين نيجل فاندفعت تقول:

«صدقني...إنني لا أعرف شيئاً...والسيدة كاسيل ستؤكد لك ذلك. انا أحضر إلى هذا المكان كل عام في تموز(يوليو)مع والدي لقضاء العطلة وقد حضرت هذا

العام مبكراً».

وكانت ساشا على وشك ان تضيف أنها جاءت بمفردها، ولكنها توقفت فقد خطرت لها فجأة فكرة، فاستطردت تقول:

«السيدة كاسيل ستشهد بأنني أقول الحقيقة، ولكن أين هي ؟»

فرد مارك وهو يبتسم لها:

«ذهبت لزيارة ابنتها في فريجي».

«لا... ليس هذا صحيحاً فالسيدة كاسيل لا تترك المنزل أبداً في حالة وجود أحد فيه...»

ثم توقف فجأة، وبدا مارك كأنه قرأ أفكارها... إذ هز رأسه برفق وهو يقول:

«لم نمسها بأي أذى وهي تقيم فعلاً عند ابنتها في فريجي وفي صحة جيدة».

وازداد اضطراب ساشا واشتد الصداع عليها، لكنها صممت على معرفة ما يدور حولها فمضت في تساؤلها قائلة:

«ولكن لا يمكن أبداً للسيدة كاسيل أن تترك المنزل خاصة إذا كانت تنتظر وصول بعض الضيوف».

«ارسلت السيدة كاسيل رسائل إلى الأشخاص الذين كان من المفروض أن يستأجروا المنزل خلال الشهر الحالي ومن بينهم أنت لتبلغهم بالغاء الحجز بسبب مرضها».

ثم استطرد مارك وهو ينظر إليها مبتسماً:

«وبعد ذلك تريدين اقناعي بأنك لم تتلقي مثل هذه الرسالة».

فهزت ساشا رأسها بالنفي وبدت عليها مظاهر الحيرة وهي تقول:

«لا أفهم شيئاً، ولم أستلم منها مثل هذه الرسالة، بل استلمت منها رسالة تؤكد لي أنها في انتظارنا».

«المسألة في منتهى البساطة، ابلغت السيدة كاسيل أنني حضرت إلى المنزل

لقضاء شهر عسل مع عروسي وأننا لا نرغب في وجود أحد معنا في المنزل ثم أعطيتها مبلغاً كبيراً من المال. وقد صدقت قولي بالفعل فأنت تعرفين أن الفرنسيين عاطفيون كما أنهم عمليون أيضاً».

«ولكن هل أنت حقاً تقضي شهر العسل هنا؟»

فضحك مارك ووجدت ساشا نفسها رغماً عنها تنظر إليه باعجاب اذ كان وجهه يبدو جذاباً للغاية عندما يضحك ثم نظر إليها وهو يسأل:

«هل تعتقدين ذلك؟»

فتلعثمت ساشا وهي تجيب قائلة:

«لا أعتقد ذلك مع وجود هذين الرجلين في المنزل».

وفجأة تنبهت ساشا من جديد إلى حقيقة الوضع الذي وجدت نفسها فيه وتذكرت قول مارك لها أنه سيحتفظ بها في المنزل لبضعة أيام فشعرت بالاضطراب ولم تدر ماذا تفعل وتركت مقعدها واتجهت إلى النافذة وأسندت رأسها إليها وقد بدا عليها اليأس الشديد وهي لا تدري ماذا يمكن أن تفعل.

وسمعت ساشا صوت مارك يسألها:

«ألا زلت تشعرين بالصداع».

أغمضت ساشا عينيها وهي ترد بالايجاب. لم تكن ساشا تريد أن تعترف بأنها تشعر بالخوف ولكن ماذا يمكنها أن تفعل وأي فرصة لها في الهروب مع وجود الرجال الثلاثة في المنزل. كان الرجل الأكبر ذو الشعر الرمادي يبدو لطيفاً وطيباً أما الرجل الآخر الأصلع فلا يبدو لها كذلك.

وبدأت ساشا ترتعش وانتبهت إلى يد مارك وهو يلمس ذراعها برفق ويقول لها:

«لن يصيبك أي أذى أثناء وجودك هنا ولكن لم يكن بمقدورها ذلك فالتفتت إليه في توسل قائلة:

«ولكن... لماذا... اريد أن أعرف».

فنظر مارك إليها في صمت لبضع ثوان ثم أجاب:

«لأنك رأيت بمحض الصدفة ما لم يكن مفروضاً أن تريه...وهذا هو السبب في أنني احتجزتك هنا...حتى لو كنت صادقة فيما تقولين وتركتك تذهبين ما الذي يضمن لي أنك لن تقولي شيئاً.

«أعدك بذلك...لن أتفوه بكلمة...»

ولكن مارك هز رأسه وهو يقول:

«لا...فالمسألة لا تحتمل المجازفة أبداً...حضرت للاقامة في هذا المنزل...وهذا ما سيحدث بالفعل ولكنك ستضطرين إلى البقاء لبضعة أيام في صحبة أشخاص آخرين».

فاندفعت ساشا تقول في يأس محاولة ايهامه أنها لم تحضر بمفردها:

«والدي سيحضر إلى المنزل الليلة».

وتوقف مارك لحظة ثم هز كتفيه وهو يقول:

«إذا حضر والدك فسيكون على الرحب والسعة».

ثم استطرد وقد ارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة:

«ولكنني أعتقد أنك لا تقولين الحقيقة...لماذا تكذبين؟»

فأجابت ساشا في تحد دون أن تجرؤ على النظر في عينيه:

«سترى إذا ما كنت صادقة أم لا؟»

مد مارك يده ليمسك بذقنها ويرفع وجهها إلى أعلى ونظر في عينيها قائلاً:

«ربما كنت صادقة...والآن أنت تبدين مرهقة...هل تريدين أخذ حمام...انتظري هنا وسأحضر حقائبك من السيارة».

وخرج مارك من المطبخ وقد أمسك بالمفاتيح في يده ونظرت إليه ساشا

وهي تدرك أنه برغم إصابة يده اليسرى مازال أقوى منها بكثير. ثم سمعته ينادي أحد الأشخاص في الطابق العلوي...وانصت ساشا وفجأة أدركت أنه لا يتكلم الانكليزية أو الفرنسية وعرفت أنه يتحدث الروسية مما زاد من شعورها بالقلق.

وبعد قليل عاد مارك إلى المطبخ وهو يقول:

«لن يستغرق إحضار حقائبك من السيارة وقتاً طويلاً...هل تريدين أن تأكلي شيئاً».

فسألته ساشا بطريقة مفاجئة:

«هل أجد عندك كافيار؟»

نظر إليها مارك قائلاً وهو يجلس في مواجهتها:

«إذن أنت تعرفين...هل تتحدثين اللغة الروسية؟»

ردت ساشا بالنفي فكانت تعرف أنه يتحدث الروسية ولكنها لم تكن تعرف اللغة. وكانت تدرك أن مارك لن يصدقها.

وفعلاً هز رأسه قائلاً:

«حتى لو كنت صادقة في قولك يجب أن نأخذ حذرنا في الحديث».

ولم ترد ساشا بل أدركت في هذه اللحظة أنها أخطأت إذ جعلت مارك يعرف أنها اكتشفت جنسيته وساءلت نفسها كيف لم تكتشف ذلك من قبل فملامح وجهه السلافية بوجنتيه البارزتين وعينيه الغائرتين تنطق بذلك.

وصممت ساشا على مغادرة المكان في أسرع وقت ممكن، بمجرد أن تتاح لها الفرصة لذلك، ولكن عليها أن تفكر في هدوء، والتظاهر بعدم الخوف وبأنها قبلت الأمر الواقع ثم تفكر في طريقة للهرب عندما تنفرد بنفسها في غرفتها.

وبالفعل بدأت ساشا تنفيذ هذه الفكرة فتظاهرت بالاسترخاء وهي تتحدث مع مارك وسألته وهي تسمع صوت الرجل الآخر يعود بالحقائب من

السيارة:

«هل يمكنني أخذ المزيد من الشاي وبعض الطعام...أحضرت معي بعض الطعام معي من نيس وأشعر بجوع شديد..»

توقف مارك قائلاً:

«حسناً...انتظري هنا».

ثم عاد يحمل حقيبة من البلاستيك كانت ضمن حقائبها،وسمعت صوت أقدام ثقيلة تصعد الدرج المؤدي إلى غرفة النوم، وتنفست ساشا الصعداء،إذ كان وجود الرجل الأصلع الذي يحمل الحقائب يملأها بالرعب.

وكانت ساشا تشعر بجوع شديد، ولكنها اضطرت إلى الانتظار حتى يخرج مارك جميع المأكولات من حقيبة البلاستيك وهو يفتش كل شيء بدقة. وبعد أن انتهى من ذلك قال لها:

«حسناً يمكنك الآن تناول الطعام...ولكن لماذا لاتغتسلين أولاً؟ يوجد حمام في الطابق العلوي».

«أعرف ذلك فقد حضرت إلى هذا المنزل من قبل كما أخبرتك».

ثم أضافت في لهجة حاولت أن تبدو لطيفة:

«سأصعد الآن...أين حقائبي؟»

«هنا...بالداخل...تعالي سأحملها لك إلى الطابق العلوي».

ولم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من التساؤل كيف يمكنه أن يحمل الحقائب وذراعه اليسرى مصابة وأقنعت نفسها أنها لا تهتم كثيراً بذلك فكل ما تريده الآن هو الخروج من هذا المنزل في أسرع وقت ممكن حتى لو اضطرت إلى ترك متاعها كله وراءها.

وحمل مارك الحقائب وقد أمسك بأخفها وزناً في يده اليسرى المصابة وأومأ إليها برأسه وهو يرشدها إلى الطريق.

ونظرت إليه ساشا وشعرت بأنه على الرغم من أن يديه كانتا مشغولتين في حمل الحقائب مازال متحفزاً لأي حركة قد تقوم بها.

وأوصلها مارك إلى حجرة في مقدمة المنزل اعتادت على النوم فيها عندما كانت تفد إلى المنزل في المرات السابقة. ودخلت ساشا الغرفة حيث عاودتها الذكريات من زياراتها السابقة للمنزل كان كل شيء كما هو في الغرفة وتوقفت ساشا ساكنة،وقد تملكها شعور بالحزن واليأس معاً. لم تكن تفكر أبداً في أنها ستضطر إلى مواجهة مثل هذا الموقف في وقت من الأوقات.

ويبدو أن مارك لاحظ علامات الانفعال التي انعكست على وجهها في هذه اللحظة فبدا التساؤل على وجهه وهو يقول:

«ماذا حدث؟»

«لا شيء...هل هذا المكان الذي سأقضي فيه الليل؟»

«نعم...وأنت تعرفين مكان الدوش في الغرفة الصغيرة المجاورة».

بالطبع أعرف ذلك».

ثم نظرت إليه وهي تسأل:

«ولكن هل تنوي البقاء في الغرفة بينما أستعد للاغتسال؟»

ابتسم مارك وهو ينظر إليها وقد لاحت ملامح وجهه الأسمر الذي لوحته الشمس، فبدا لها أكثر جاذبية ورجولة. ولكن ساشا لم تكن في هذه اللحظة في حال يسمح لها بالاهتمام بذلك. فقد كانت تشعر بالخوف وتحاول جاهدة اخفاءها

ورد مارك قائلاً:

«بالطبع لا أنوي البقاء...ولكنني أحذرك من محاولة الهرب مني مرة أخرى. فالغرفة كما ترين لا يوجد فيها سوى نافذة صغيرة جداً لا تستحق عناء محاولتك الهرب منها».

نظرت إليه ساشا بطريقة ساخرة وهي تقول:

«كنت أعتقد أنني ضيفتك.»

ثم أضافت وهي تميل برأسها قليلاً:

«والضيف لن يحاول الهرب...أليس كذلك؟»

قرة مارك ويده على مقبض الباب:

«بالطبع لا...لا تؤاخذيني.»

ثم أحنى لها رأسه بالتحية ونظر إليها وقد بدا لها في عينيه، تلك اللحظة، تعبير غريب وهو يقول لها:

«إنك تبدين جميلة جداً وأنت غاضبة...إنك جميلة حتى وأنت غير غاضبة.»

وتركها بعدما أغلق الباب وراءه ووقفت ساشا وسط الغرفة وقد أثارها كلامه وأخذت تسائل نفسها من هو هذا الشاب الروسي وماذا يفعل مع رفاقه في هذا المنزل؟

ولما لم تجد إجابة على هذه التساؤلات انحنت ساشا على حقيبتها في يأس وأخذت تعبث بمحتوياتها بأنامل مرتعشة.

٢ ـ الغامض والسكين

لم تقابل ساشا أحداً في طريقها إلى الحمام ولا في عودتها، ولكنها زيادة في الاطمئنان أغلقت الباب خلفها بالمفتاح وشعرت بانتعاش غريب بعد الحمام البارد الذي أخذته وكأنها وهي تغسل عنها آثار تعب الطريق أزاحت عن نفسها بعض الخوف.

وجلست ساشا على السرير أمام المرآة التي تعلو الخزانة الكبيرة، تمشط شعرها الأسود الناعم، ثم عقصته إلى الخلف بشريط أحمر. ونظرت إلى نفسها في المرآة ووجدت نفسها رغماً عنها تفكر في الشاب الأسمر مارك وتساءلت ماذا ياترى قرأ في عينيها. وتذكرت مجاملته لها التي انفلتت منه عفوا وهو يخرج من الغرفة وكأنه تعمد أن يعنيها بالفعل... ولكن ساشا حدثت نفسها بأن عليها ألا تلقي بالاً إلى مثل هذه المجاملات. فإنها في أمسّ الحاجة في الوقت الحاضر إلى تركيز أفكارها لتدبر أمر هروبها من هذا المكان ولن يمكنها ذلك إذا سمحت لنفسها بالتأثر بنظرات مثل هذا الشاب الجذاب.

كانت ساشا جميلة ذات عينين زرقاوين جميلتين يزيدهما جمالاً رموشها السوداء، وكانت تتمتع بفم أنثوي جميل. وكانت تدرك تماماً مدى جاذبيتها فطالما سمعت كلمات الاعجاب والاطراء من الشبان.

وتذكرت ساشا في هذه اللحظة نيجل الذي أحبته وتعلقت به وعاشا حلماً جميلاً على مدى ثلاثة أشهر، حتى كان ذلك اليوم منذ بضعة أسابيع عندما تلقت مكالمة تطوع بمجهول أن يخبرها فيها بأن نيجل متزوج. لقد كانت صدمة عنيفة.

وتجهم وجه ساشا وهي تستعيد موقفها مع نيجل بعدما عرفت بأمر زواجه وكيف حاول تبرير موقفه. حاول بشتى الوسائل أن يقنعها بأنه كان يريد أن يقول لها الحقيقة وأنه على وشك أن يحصل على الطلاق من زوجته ولكنها لم تغفر له أبداً خداعه، وارتسمت على فم ساشا ابتسامة حزينة وهي تتذكر أنه كان من المفروض أن يحضر نيجل معها خلال هذه العطلة لولا المكالمة.

وانتزعت ساشا نفسها من أفكارها الحزينة وتنهدت بعمق وهي تتجه إلى حيث وضعت حقائبها في الغرفة وقد عادت إلى واقع الموضوع الذي وجدت فيه نفسها الآن.

وأغلقت ساشا الحقائب بالمفتاح لأنها كانت تكره أن يحاول أي شخص العبث بحاجياتها الشخصية، التي يمكن أن تتركها وراءها إذا استطاعت مغادرة هذا المنزل.

وبعد فترة قصيرة غادرت ساشا الغرفة. كان المنزل يلفه السكون وبدأ الظلام ينتشر في أنحاء المكان وهي تهبط السلم متجهة إلى المطبخ.

كان مارك يقف أمام الموقد وقد وضع منشفة حول خصره. وأعدت المائدة لأربعة أشخاص بعدما رفع عنها الطعام الذي أحضرته معها من نيس.

وقال مارك وقد شعر بحضورها:

«هل أنت على استعداد... إنني أقوم بإعداد العشاء... هل تريدين بعضاً منه؟»

كانت رائحة الطعام لذيذة ولكن ساشا سألته:

«ولكن أين الطعام الذي أحضرته معي؟»

«وضعته في مكان آخر لأن الذباب يملأ المكان هنا... ولكن ألا تتناولين العشاء أولاً؟»

ثم نظر إليها وهو يقول:

«لا تخافي سأتناول معك العشاء لتتأكدي أنني لم أضع فيه مخدراً.»

وجلست ساشا على مقعد أمام المائدة وهي تسأل عن الرجلين الآخرين بطريقة حاولت أن تبدو طبيعية وكأن الأمر لا يعنيها في شيء، لكنها كانت تريد أن تتأكد من وجودهما خارج المنزل فربما أتيحت لها الفرصة الآن للهرب من مارك لكنها في هذه اللحظة كانت تشعر بجوع شديد ولا بد أن تملأ معدتها بأي طعام قبل أن تفكر في الهروب.

ورد مارك:

«ذهبا للتريض سيراً على الأقدام قليلاً... فالظلام بدأ يحل كما ترين.»

ولم تفهم ساشا ماذا يعني مارك لكنها قالت:

«أرى ذلك... ولكن ألا تعتقد أن السماء ستمطر؟»

«ممكن.»

واتجه مارك إلى النافذة لينظر منها ثم قال موجهاً كلامه إليها وهو يبتعد عن النافذة:

«هل يمكنك أن تعدي لي بعض الخبز بالزبدة؟»

فأجابت بالايجاب وهي تسأله عن مكان الزبدة وعندما اتجهت لاحضارها لاحظت اختفاء القضيب الخشبي، وابتسمت وهي تحدث نفسها بأن مارك ليس بهذا القدر من الغباء حتى يترك القضيب الخشبي في مكانه ليتيح لها فرصة أخرى.

ونظرت إلى مارك وكان من الواضح أن ذراعه اليسرى مازالت تؤلمه وهو يحمل قدر الحساء ليفرغ منه في الأطباق، ووجدت ساشا نفسها تسأله:

«هل يؤلمك كتفك كثيراً؟»

توقف قليلاً وهو يسكب الحساء قبل أن يقول:

«نعم... ولكن لماذا تسألين؟»

فاضطربت ساشا لأنها لم تكن تدري لماذا تهتم بالسؤال عن كتفه وتلعثمت وهي ترد قائلة:

«لم أقصد..لم أكن لأفعل... وإنني أسفة لأنها تؤلمك.»

وتوقفت ساشا عن الكلام فجأة وقد راعها أنها تحاول الاعتذار لمارك الذي انتهى من سكب الحساء في الأطباق، ووضع القدر على الموقد قبل أن يتجه إلى المائدة ليجلس إليها. ثم نظر إلى ساشا طويلاً وهو يلتقط ملعقته وقال:

«لو أن رجلاً فعل ذلك معي كان من المحتمل أن أقتله.»

ولم ترد ساشا فكانت على يقين أنه يعني حقاً ما يقول وشعرت بالبرودة تسري في جسمها، وهي تسائل نفسهامن يكون هذا الشاب الذي يجلس أمامها؟

وانحنت ساشا على حسائها ترتشف منه. والتقطت قطعة خبز وقضمتها وهي تختلس النظر إلى مارك الذي كان يجلس في مواجهتها باسترخاء، يتناول طعامه بشهية واضحة، ورفع مارك رأسه والتقت نظراتها فسألها:

«هل أخفتك بكلامي؟»

فهزت ساشا رأسها نافية وإن كانت تعرف تماماً أنها تكذب. فأضاف قائلاً:

«حسناً...لم أكن أعني ما أقول تماماً... يجب ألا تخشي شيئاً. انا وزملائي لن تلحق بك أي أذى.»

ردت ساشا بطريقة حاولت معها أن تبدو لطيفة:

«وكيف لي أن أعرف؟»

«لأنني الرئيس هنا، وأنا لا أصارع النساء.»

وأخذ مارك لنفسه قطعة جبن ثم نظر إليها مبتسماً وقال:

«أنني أدعى نيكولاي تور ليتكوف والجميع يدعونني مارك... وأنت الآنسة ساشا دونيللي، وسأدعوك ساشا إذا سمحت لي بذلك، بالطبع.»

وشعرت ساشا باسمها يبدو غريباً عليها ومارك ينطقه بلهجة روسية فأجابت:

«وهل أمامي مجال للاختيار.»

«لن تضطري إلى البقاء معنا أكثر من بضعة أيام ولكنني لن أناديك باسمك مجرداً إذا كنت لا ترغبين في ذلك.»

«حسناً، يمكنك أن تدعوني ساشا، ولكن ما اسم الرجلين الآخرين؟»

«الرجل الأصغر الذي أخافك مظهره يدعى جانوس أما الآخر ذو الشعر الرمادي فيدعى سيرج.»

ولاحظت ساشا أنه تردد قليلاً قبل أن ينطق باسم الرجل الآخر ولكنها استطردت تسأل:

«ولكن ألا يعودان من الخارج الآن؟»

ورد مارك بالايجاب وهو ينظر الى ساعة يده التي استطاعت ساشا أن تراها بوضوح وقد قاربت الثامنة.

وأخذت ساشا تفكر في وسيلة يمكنها بها التخلص من هذا الموقف الذي ساقتها إليه الأقدار وقد فشلت محاولتها السابقة للهرب.

فتثاءبت ونظرت إلى مارك وهي تبتسم في خجل قائلة:

«معذرة، فإنني متعبة للغاية.»

فسألها وهو يرفع الطبق من أمامها:

«هل جئت اليوم من انكلترا؟»

فردت بالايجاب وهي تحاول التظاهر بالتعب والارهاق حتى يطمئن إليها مارك ويكف عن مراقبتها بهذه الدقة ثم أضافت:

«السفر يشعرني دائماً برغبة في النوم، كانت الرحلة من المطار إلى هنا متعبة للغاية. وكنت أرجو أن أنام في وقت مبكر...»

وانحنت ساشا وهي تتظاهر بأخذ قطعة من الجبن حتى لا يرى مارك تعبيرات وجهها.

«يمكنك ذلك بالطبع...»

ووجدت ساشا نفسها تعجب بمارك رغماً عنها. كان يتمتع بجاذبية خاصة، حتى طريقته في الحديث كانت جذابة. وعجبت ساشا من نفسها كيف تعجب، بتور وهي تعرف تماماً أن سبب وجوده هو وزملائه في المنزل الآن لا بد وأن ينطوي على الشر، ربما كانوا من المجرمين، أو المهربين، أو ما هو أسوأ من ذلك...

وشعرت ساشا بالخوف الشديد واتجهت أفكارها إلى السيدة كاسيل، ترى ماذا حدث لها؟ لقد أكد لها مارك أنها بخير، ولكن كيف لها أن تصدق. وتذكرت فجأة أن السيدة كاسيل اعتادت المبيت أحياناً في كوخها الصغير الذي يبعد عن المنزل بضع مئات من الياردات. ووردت إلى ذهنها فكرة مفاجئة، وهي أن تتجه إلى الكوخ لتتأكد بنفسها من أن مارك وزملاءه لايحتفظون بالسيدة العجوز مقيدة في كوخها الصغير.. أو ربما...

في هذه اللحظة عاد الرجلان إلى المنزل ودخلا المطبخ واستطاعت ساشا أن

تدقق النظر فيهما عن قرب.

كان الرجل المدعو جانوس أصلع تماماً قوي البنية يبلغ من العمر حوالى الخمسين عاماً. وكان وجهه يبدو خالياً تماماً من أي تعبير وقد ارتسمت في عينيه الزرقاوين نظرة باردة. انحنى أمام ساشا عند دخوله بطريقة سريعة جافة وقدمه مارك إليها قائلاً:

«جانوس لايتكلم الانكليزية يا ساشا.»

أما الرجل الآخر المدعو سيرج فقد كان مختلفاً عن جانوس تمام الاختلاف بوجهه الذي يبدو متعباً وقد ارتسمت عليه ابتسامة لم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من التجاوب معها.

كان يبدو وقد ناهز الستين من عمره نحيلاً للغاية ذا عينين سوداوين، لوحت الشمس وجهه الذي أحاط به شعر رمادي. وعندما دخل سيرج المطبخ تقدم منها ومد لها يده مصافحاً وهو ينطق ببضع كلمات فهمت بعد ذلك من مارك أنه يعبر لها عن أسفه لهذه الطريقة التي بدأت بها عطلتها.

ونظرت ساشا إلى سيرج مبتسمة تشكره. وبينما جلس الرجلان إلى المائدة يتناولان الطعام أخذت ساشا تنظر من طرف خفي إلى مارك وهي لا تدري تماماً ماذا تفعل؟

وتزاحمت في ذهنها بعض الخطط غير المحددة للهرب من هذا المكان لكنها لم تكن تدري كيف تنفذها فآثرت الالتزام بالهدوء والانتظار حتى تتاح لها الفرصة المناسبة لتنفيذ أي منها.

وكان واضحاً لساشا أن مارك لا يريدها أن تبقى الآن في المطبخ وقد دخل الرجلان إليه. وفعلاً أشار اليها بالخروج إلى غرفة الجلوس. وأمسك بذراعها وهو يوجه بعض الكلمات إلى الرجلين وقال:

«تعالي الآن.. لنتركهما يتناولان طعامهما.»

ثم نظر إليها وأضاف:

«إنك تبدين متعبة، أليس كذلك؟»

فردت ساشا بالايجاب وقد خطرت لها فكرة مفاجئة وأضافت:

«ولكنني أود أن أذهب للسير قليلاً في الخارج.. فقد تعودت أن أفعل ذلك قبل الذهاب إلى النوم.»

وكتمت ساشا أنفاسها في انتظار رد مارك الذي هز كتفيه قائلاً:

«إذا كنت ترغبين في ذلك... ولكن الجو بارد الآن في الخارج هل لديك معطف؟»

وقفز قلبها فرحاً بين ضلوعها لكنها حاولت أن تخفي انفعالاتها وهي تقول:

«سأصعد إلى حجرتي لأحضره.»

واندفعت ساشا إلى حجرتها حيث أحضرت معطفاً أحمر اللون. وتمنت لو أنه كان لديها معطف داكن حتى لايمكن رؤيتها بوضوح في الظلام إذا ما أتيحت لها فرصة الهرب من مارك.

وعندما عادت إلى غرفة الجلوس نظرت إلى مارك وقد رسمت ابتسامة على وجهها وهي تقول:

«أعتقد أنك ستصحبني في هذه النزهة.»

فابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول لها:

«هل تعتقدين أنني سأتركك تخرجين بمفردك في مثل هذا الظلام؟»

وأضاف في لهجة اتسمت بروح الفكاهة:

«من مصلحتك أن أصحبك فلا يمكن أن تعرفي من قد تصادفين في الخارج؟»

واتجه مارك إلى الباب الأمامي وخرجا معاً. وكان مارك يرتدي صدرية بيضاء. وفكرت ساشا وهي تتجه نحو كوخ السيدة كاسيل أن هذا

سيساعدها كثيرا عندما تتمكن من الهرب إذ أنه سيمكنها رؤيته بسهولة في الظلام.

كان الظلام شديدا بدت الأشجار كالأشباح وسط الحديقة وفكرت ساشا أنها لم تكن تجرؤ على الخروج إلى الحديقة بمفردها في الظروف العادية. أما الآن فإنها على استعداد للسير مئات الأميال في هذا الظلام الدامس إذا ساعدتها الفرصة على التخلص من مارك.

سارت ساشا في صمت إلى جانب مارك وكانت تسمع أصوات الحشائش تتكسر تحت أقدامها وفجأة أجفلت وهي تنتبه إلى صوت تكسر بعض فروع الأشجار فنظر إليها مارك متسائلا:

«هل تشعرين بالبرودة؟»

«لا.. ولكنني سمعت صوتاً... إنني... إنني سعيدة لأنك معي فالظلام يبدو مخيفاً والمكان يبدو مليئا بالأشباح.»

وابتسمت ساشا في الظلام وهي تحاول أن تظهر جزعها وخوفها من الأشباح إذ كانت تريده ان يعتقد أنها لن تحاول الهرب منه حتى لو أتيحت لها الفرصة لذلك.

ونظرت ساشا إلى مارك وهو يسير بجانبها وأحست بضعف موقفها لأنه كان ضخماً جداً بالنسبة اليها، ولكنها صممت على المضي في خطتها لاقناعه بأنها لم تعد تفكر في الهرب منه وسألته:

«كم مضى عليك هنا... أم هل تريد أن تحتفظ بذلك سراً؟»

«بضعة أيام فقط.. أخبرني يا ساشا من أي مكان من انكلترا أنت؟»

وشعرت ساشا بأن مارك لايريد أن يجيب على أسئلتها. كانت تعرف أن المجرمين لايحبذون الخوض في الحديث عن حياتهم.

ولكن مارك لايبدو لها مجرماً، حقاً إنها لم تتعامل مع مجرمين من قبل، ولكن تصرفات مارك وثقته الزائدة بنفسه وكبرياءه كل ذلك يتعارض مع فكرتها السابقة عن المجرمين، ولكن من يدري!

وأفاقت ساشا من أفكارها وأجابته قائلة:

«أعيش بالقرب من برمنغهام في مكان يدعى والسال، هل تعرفه؟»

«لا للأسف، لم تتح لي الفرصة أبدا لزيارة انكلترا، ولكنني آمل أن يحدث ذلك في يوم من الأيام لأنني أحب الانكليز.»

وأوشكت ساشا أن تقول: «هل حقاً تقول؟ وهل تقوم باختطاف الفتيات الانكليزيات اللواتي ستقابلهن؟»

ولكنها أحجمت عن ذلك فقد صممت على أن تكون لطيفة معه مهما كلفها ذلك من جهد وقالت موجهة كلامها إليه:

«أخشى ألا تجد الجو في انكلترا دافئاً كالجو هنا. ولكن في أي حال فالجو في روسيا بارد جداً في الغالب.»

اقتربا في سيرهما من كوخ السيدة كاسيل ولم تلحظ ساشا أي مظهر من مظاهر الاضطراب على وجه مارك وهما يتجهان إلى الكوخ الذي لفه الظلام.

وفجأة توقف مارك وأمسك ذراعها وهو يقول في صوت هامس:

«انتظري.»

وشعرت ساشا بأطرافها تتجمد خوفاً وهي تسأله عما حدث:

«هس... أنصتي معي... إنني أسمع صوتاً.»

كانا يقفان في ظل شجرة ضخمة يلفها الظلام من كل جانب وأنصتت ساشا ولم تسمع سوى صوت تنفس مارك وحفيف أوراق الأشجار تتحرك وشعرت بخوف لم تشعر به من قبل وكتمت أنفاسها عندما سمعته يضحك

بلطف قائلاً:

«آه... نسيت.»

وبدأت ساشا تسترد أنفاسها قليلاً وهي تسأله:

«ماذا... نسيت؟»

«تعالي... سأريك.»

وأمسكها مارك من ذراعها وهو يدفعها إلى حديقة الكوخ الخلفية حيث رأت في الظلام الذي يسود المكان الأشباح الصغيرة لبعض الدواجن وهي تتزاحم لتلتصق ببعضها التماساً للدفء، وقالت ساشا وقد شعرت بالدماء الدافئة تجري في عروقها من جديد:

«الدواجن... نسيت كل شيء عنها... ولكن من يقوم باطعامها، فالسيدة كاسيل لايمكن أن تتركها هكذا بدون طعام.»

«أنا أقوم باطعامها.»

ثم أضاف بلهجة ضاحكة:

«وفي مقابل ذلك نحصل على بيضها الذي تستخدمه في جميع وجباتنا... وعلى فكرة، هل تعرفين بعض الطرق الحديثة لعمل وجبات من البيض؟»

«نعم، ولكنك لم تقدم لنا البيض مع الحساء.»

«ستقدم لك البيض المقلي على العشاء، هل تحبين ذلك؟»

«لا، شكراً سأكتفي ببعض الشراب.»

وأضافت وهي تحدث نفسها:

«إذا قدر لي العودة إلى المنزل...»

وسارا معا عبر الحديقة وكان الجو معبأ برائحة الزهور وشعرت ساشا بالدفء فجأة، فنزعت معطفها عن كتفيها ووضعته فوق ذراعها، وكان قد

وصلا في سيرهما إلى حافة الحديقة وبدا البحر منبسطاً أمامهما على البعد. كما بدت أنوار الطريق متقاربة كعقد من الماس وضع فوق غطاء من القطيفة السوداء يتلألأ في الظلام وقد بدت في السماء من خلال السحب التي تكتنفها بعض الكواكب المتناثرة.

ووقفت ساشا وأخذت تتنفس بعمق وهي تستنشق هواء البحر النقي. كان المنظر رائعاً على البعد أضواء أحد اليخوت يتحرك على سطح الماء فسرحت أفكارها وهي تتساءل، ترى من يكون على ظهر هذا اليخت وما اذا كان هناك احتفال ما يجري على سطح البحر، وتنهدت وهزت كتفيها في يأس.

ويبدو أن مارك رآها تهز كتفيها فسألها بطريقة لطيفة.

«هل تشعرين بالبرد؟ هيا بنا للعودة إلى المنزل.»

فانتبهت ساشا وكانت قد أوشكت أن تنسى وجود نور إلى جانبها وقالت.

«لا، لا أشعر بالبرد. إنني أنظر فقط إلى ذلك اليخت.»

وسقط المعطف عن ذراعها وهي تشير بيدها إلى اليخت وقبل أن تنحني لالتقاطه كان مارك قد سبقها إلى ذلك وهو يقول لها.

«سأحمله عنك أم تفضلين أن تضعيه فوق كتفيك؟»

وأجابت ساشا بالنفي، وكان مارك يقف قريباً منها ولا تدري ماذا حدث لها في هذه اللحظة إذ بدأ قلبها يخفق بعنف، وبدأت تشعر فجأة بوجود مارك معها كرجل ذي جاذبية لاتقاوم. ربما كان الجو الذي يحيط بها قد ساعد على ذلك. وشعرت باضطراب شديد وهي تسائل نفسها كيف تجرأت على الخروج معه بمفردها في مثل هذا الوقت.

وابتعدت عنه قليلاً وأخذت تنظر إلى البحر وهي تتساءل متى تحين فرصتها لتتخلص من هذا الرجل الذي يقف بجوارها.

كانت ساشا تعرف أنها قوية ولكنها كانت على يقين أيضاً من أن مارك يفوقها قوة بكثير فقد كان ذلك واضحاً في بنيته القوية ورجولته التي لاتخطئها العين وفي وقفته وهو يرفع وجهه كأنه يتحداها أن تحاول الهرب.

وفكرت ساشا أنها لو حاولت الهرب سيتأتى لها فقط عن طريق استخدام الحيلة. وبدا لها هذا أيضاً بعيد الاحتمال لأنه كان واضحاً أن مارك ليس رجلاً غبياً كما أنه كان يراقبها طوال الوقت.

وتنهدت ساشا في يأس وهي تقنع نفسها بأن عليها الانتظار حتى تنفرد بنفسها في غرفتها لتفكر في الأمر جيداً وربما أمكنها الهرب من النافذة فانها لا تبعد كثيراً عن الأرض وتطل على الحديقة حيث تنمو الحشائش الغزيرة.

وأفاقت ساشا من أفكارها على صوت مارك يسألها.

«ماذا حدث؟»

«لاشيء... كنت أفكر كم كان الوضع يختلف لو...»

وتوقفت عن الكلام فقد تذكرت أنها لاتريده أن يعرف حقيقة مشاعرها أو الطريقة التي تفكر بها لأن ذلك لن يخدم خطتها في اقناعه بأنها قبلت الأمر الواقع.

«نعم أعرف ذلك وأشعر بأسف شديد، ولكن هذا الوضع لن يستمر طويلا وقريباً جداً خلال أيام قليلة سينتهي كل شيء، وسيكون المنزل تحت تصرفك وحدك.»

ولم ترد ساشا على حديثه بل كانت تشعر أنه لم تعد هناك فائدة من الحديث، كما أنه لم يعد بمقدورها أن تصدقه. اختلط عليها كل شيء. التجربة التي تمر بها تصلح موضوعاً للصحافة أو نادرة يتحدث عنها الناس في المقاهي ولكنها نادراً ما تحدث لأناس تعرفهم، ولم تكن تفكر في أي يوم من الأيام أن تتعرض لمثلها. حتى في الصحيفة حيث تعمل سيتهمونها بالجنون لو قدمت لهم

مثل هذه القصة.

وحاولت ساشا استجماع شتات ذهنها وخطرت لها فكرة بدت لها جريئة ولكنها عمدت إلى تنفيذها فوراً.

نظرت إلى مارك وهو يقول:

«ربما يكون هذا حقيقياً ولكنني يجب أن أتحدث إلى والدي هاتفياً، الليلة وإلا فانه سيقلق بشأني وقد يطلب من رجال الشرطة البحث عني هنا.»

كانت ساشا تحاول أن تبدو مقنعة تماماً وهي تقول ذلك، لكنها شعرت بمدى سذاجتها عندما أمسك مارك بذراعيها وجذبها لتصبح في مواجهته وقال في رقة متناهية:

«قلت أن والدك سيلحق بك هنا... أليس كذلك؟»

ونظرت إليه بعينين ملأهما الخوف ولم تدر ماذا تقول وأخيراً ردت عليه قائلة:

«نعم هذا صحيح، ولكنه لم يفعل ذلك قبل اليوم، ويجب أن أحدثه في الهاتف، فهو موجود في باريس الليلة، وسيطير إلى نيس غدا ويجب أن أتصل به لأعرف موعد وصوله.»

«أه، حسناً في أي حال يمكنني أن أتصل به "نيابة عنك، إذا عرفت رقم الهاتف.»

فقاطعته ساشا قائلة:

«لا... لايمكنك أن تفعل ذلك... ماذا يظن والدي إذا تحدثت أنت إليه؟»

كان مارك مازال ممسكاً بذراعيها وكانت تشعر بحرارة ملمس يده كالنار وأرادت أن تبتعد عنه ولكن لدهشتها الشديدة شعرت في قرارة نفسها بأنها لاتود ذلك.

وتنبهت ساشا إلى مارك يرد عليها قائلاً:

«سأقول لوالدك أنني ابن أخ السيدة كاسيل وأنك طلبت مني الاتصال به

لأنك متعبة جداً.»

«لا... لن ينفع ذلك فهو يتوقع سماع صوتي.»

نظر إليها مارك طويلاً وهزها برفق وهو يقول:

«إنك لاتقولين الصدق يا ساشا... إنك تحاولين أن تبدي صادقة ولكنني أعرف أنك تكذبين، إنني ألومك لأن...»

ولكن ساشا لم تمهله ليكمل حديثه فقد صاحت قائلة وقد فاض بها الكيل ولم تعد تحتمل ملمس يديه على ذراعيها:

«لاتلمسني.»

وتردد مارك قليلا قبل أن يرفع يديه عنها وهو يتساءل قائلا:

«هل آذيتك؟ هل تعتقدين أنني سالحق بك أي أذى؟»

وحاولت ساشا أن تتمالك أعصابها اذ كان عليها أن تبدو هادئة فردت قائلة:

«لا... كل ما في الأمر أنني... أنني لاأحب أن يلمسني أحد.»

ونظرت إليه فرأته يبتسم وقد لمعت أسنانه البيضاء في الظلام وقال:

«آه... أنتم الانكليز لا تحبون أن يلمسكم أحد، نعم، نعم، ولكن نحن في روسيا لسنا كذلك؟»

«ربما، فانني لا أعرف ذلك، أليس من الأفضل أن نعود إلى المنزل؟»

«كما تريدين، هل تريدين معطفك؟»

وفجأة بدأت السماء تمطر، لم يكن المطر غزيراً بل خفيفاً وشعرت ساشا بقطرات الماء على وجهها فصاحت قائلة:

«إنه شيء رائع.»

ثم بدا وكأنها تذكرت شيئاً فصاحت:

«شعري.»

فأمسك مارك بيدها وهو يجذبها ضاحكاً إلى الكوخ وجذبها تحت احدى الحوائط وهو يقول:

«ماذا حدث لشعرك؟»

فهزت ساشا رأسها وهي تضحك وتقول:

«صففته أمس ولا أريد أن يفقد رونقه سريعاً».

ونظر مارك إلى شعرها ومدّ يده قريبت عليه وهو يقول:

«شعرك جميل ...مثلك يا ساشا».

فرفعت ساشا وجهها إليه وأخذت تهز رأسها كأنها كانت تحتج على قوله وقالت:

«لا...لا... أنك...»

ولم تستطع ساشا أن تكمل كلامها، اذ أحست بمارك يقترب منها. ولكنها تنبهت فجأة وحاولت التملص منه فلم تستطع بل كان يمسك كتفيها بقوة وكانت تشعر بالدفء.

وأخذ مارك يمسح وجنتيها وشعرها وهي تحاول أن تبتعد عنه حتى نجحت في ذلك أخيراً وابتعدت وهي تقول:

«لا».

ضحك مارك وهو ينظر إليها قائلاً:

«ولم لا؟ هل أنتم معشر الانكليز لاتحبون العناق؟ إذا كان الأمر كذلك فانني لأتوق إلى زيارة بلدكم».

وشعرت ساشا بكيانها يهتز وقد تسارعت ضربات قلبها واعتراها غضب مفاجيء من نفسها ومن هذا الرجل الوقح الذي يقف أمامها.

وجاهدت ساشا لاستعادة هدوئها. وكان الظلام شديداً واستندت بظهرها

إلى حائط الكوخ الحجري وأخذت تنظر إلى المطر وقد بدأ ينهمر بغزارة.

وقال مارك وهو ينظر إليها:

«شفتاك جميلتان، لماذا تقاوميني هكذا؟»

وردت ساشا بغضب قائلة:

«لاتكن غبياً، ولماذا أسمح لك وأنت غريب عني تماماً، هل أسمح لك لمجرد أنك تريد ذلك؟»

قالت ساشا وقد أدهشتها وقاحته وأدهشها أكثر من ذلك اضطرابها أمامه وهو كما تعرف ليس سوى أحد المجرمين.

فرد مارك قائلاً:

«لا، إنك على حق، لم يكن لطيفاً مني أن أفعل ذلك، وإنني أعتذر بشدة يا آنسة ساشا دونيلي».

قال مارك الجملة الأخيرة وهو ينحني أمام ساشا بقدر مايسمح له به المكان الضيق الذي يقفان فيه.

وحاولت ساشا التغلب على مشاعر الغضب التي أثارتها كلمات مارك وهي تقنع نفسها بأنه عليها التزام الهدوء إذا كانت تريد أن تهرب من هذا المكان بأسرع مايمكن، فقد كان مارك ذكياً ولمّاحاً بدرجة كبيرة.

وأشاحت ساشا بوجهها بعيداً وهي تحاول التغلب على رغبتها القوية في رفع يدها وصفعه على وجهه لتمحو هذه الابتسامة الساخرة التي ترتسم عليه.

كانت ساشا تقف مكانها وقد أسندت ظهرها إلى الجدار وباب الكوخ على يسارها، فمدت يدها خلسة في الظلام تحاول أن تتحسس مقبض الباب محاولة فتحه ولو أنها لم تكن تعرف ما يمكنها أن تفعل بعد ذلك. وفجأة شعرت بيد مارك تنقبض على يدها لتمسك بها وهو يتنهد بعمق ويقول لها:

«حسناً... أرجوك اخبريني ماذا تقصدين؟»

ونزعت ساشا يدها من يده وهي تقول:

«لاشيء... لم أكن أتذكر كيف يفتح الباب.»

بدا عذرها سخيفاً حتى بالنسبة اليها، فضحك مارك كثيراً وهو يقول:

«لا...لا أعتقد ذلك... إنك لاتثقين في كلامي... والآن أعرف لماذا تعمدت الحضور إلى الكوخ... إنك تعتقدين أن السيدة العجوز في الداخل.»

ولما لم تجب ساشا رفع مارك يده ولمس خدها برفق وهو يقول:

«أليس هذا صحيحاً؟»

وشعرت ساشا بثورة تجتاحها فأبعدت يده عنها بعنف والتفتت إليه وهي تقول في غضب:

«أبعد يداك القذرة عني... لاتحاول لمسي بين كل آونة وأخرى لقد قلت لك إنني لا أحب ذلك... من تظن نفسك بحق الجحيم؟»

وانطلق من فم مارك صفير خفيف وهو يقول:

«آه... هذا أحسن كثيراً، هذه أنت على طبيعتك من جديد، نعم كنت هادئة بدرجة اعتقدت معها أنك تدبرين أمراً.»

وصعقت ساشا وهي تسمع مارك يقول ذلك وقد أدركت أنه أذكى بكثير مما كانت تظن، وسكتت وهي لاتدري ماذا تقول أو حتى ماذا تفعل بعد ذلك.

وبعد فترة مد مارك يده إلى جيبه وأخرج سلسلة من المفاتيح ولدهشتها وجدته يدفع بأحدها في الباب ليفتحه وهو يقول لها:

«ادخلي، لتري بنفسك أنني لا أحتفظ بالسيدة كاسيل مقيدة مكمومة في المنزل.»

ووقفت ساشا على الباب مترددة فقال مارك وقد نفذ صبره:

«ألا تريدين الدخول؟»

«ولكن... لماذا... لماذا أعطتك السيدة كاسيل مفتاح الكوخ؟»

فابتسم مارك في سخرية وهو يرد قائلاً:

«حتى يمكنني احضار الطعام للدجاج، وأيضاً لاطعام الأسماك الموجودة داخل الكوخ، والآن، أرجوك هل تريدين الدخول أم لا؟»

وأخذت ساشا نفساً عميقاً وهي ترد بالايجاب، واتجهت إلى الداخل ولم يستغرق الأمر دقائق لتتأكد أنه لايوجد أحد في الكوخ، ووقف تور على الباب ينتظرها، وكان حريصاً للغاية ألا يلمسها وهي تمر به في طريقها الى الخروج.

وبعدما خرجت من الكوخ أطفأ النور وأغلق الباب وبدا الظلام في الخارج وقد إزداد عن ذي قبل كما أن المطر كان مازال مستمراً ولكن ساشا لم تكن ترغب في البقاء أكثر من ذلك في هذا المكان مع مارك فوضعت معطفها فوق رأسها وهي تقول:

«سأعود إلى المنزل.»

ثم ترددت قليلاً وهي تنظر إليه وتقول:

«هل تريد أن تستعمل المعطف معي لتحتمي من المطر؟»

ولكن مارك أجاب بلهجة ساخرة:

«هل تعتقدين أنه يمكنني أن أفعل ذلك! لا، أخشى ما قد يحدث لي لو أنني لمستك بطريق الصدفة.»

ولم ترد ساشا وأخذت تمشي بسرعة متجهة إلى المنزل وعندما وصلا كان الرجلان قد ذهبا ورأت ساشا النور مضاء في غرفة النوم الكبيرة. كان كل شيء هادئاً تماماً في المنزل وبدا المطبخ نظيفاً ومنظماً، ووقفت ساشا في غرفة الجلوس

تنتظر ودخل مارك إلى المطبخ وهو يسألها:

«هل تريدين بعض الشراب أو الطعام؟»

وردت ساشا بالايجاب وهي تفكر في أنها قد تحتاج إلى كل قوتها إذا قدّر لها الخروج من هذا المنزل فانه سيكون عليها أن تسير مسافة طويلة قبل الوصول إلى الطريق الرئيسي.

وقالت ساشا:

«سآخذ شريحة من الخبز وبعض اللحم الذي أحضرته معي من المطار.. هل تريد شيئا منه؟»

«لا..شكراً.. أفضل البيض.»

ونزع مارك صديريته البيضاء وألقى بها على أحد المقاعد وكانت قطرات المطر تلمع فوق وجهه وشعره وأخذ يمسح ذقنه بيده.

ونظرت إليه ساشا وأخذت تراقبه وهي تحدث نفسها بأنه كان حتى الآن مهذباً معها ولم يبدر منه ما يدل على غير ذلك.

ثم نظر إليها مارك قائلاً:

«استريحي أنت، وسأتولى أنا أعداد كل شيء، فأنت ضيفتي، لاتنسي ذلك.»

ردت عليه ساشا وقد شابت لهجتها سخرية خفيفة:

«وهل اتيحت لي الفرصة لأنسى ذلك؟»

وكانت ساشا تشعر بنوع من الراحة لأنه لم تعد هناك ضرورة للتظاهر بالهدوء والرقة مع مارك وخاصة بعد ما حدث في الكوخ..حقاً كان مهذباً ولكنه شخص مغرور للغاية.

وجلست ساشا إلى المائدة وأخذت تراقب مارك وهو يعمل وقد لاحظت كيف غسل يديه جيداً قبل أن يلمس أي شيء.

ثم أحضر الطعام الذي طلبته ساشا وهو يقول:

«سأقوم باعداد الشاي، أم تفضلين بعض الشراب مع الطعام؟»

وفكرت ساشا بسرعة أنها في حاجة إلى الاحتفاظ بجميع حواسها في حالة تيقظ ولكنها إذا رفضت فربما امتنع مارك أيضا واكتفى بشرب الشاي وربما كان من الافضل أن تدفعه إلى الشراب مما قد يساعدها إذا حاولت الهرب منه.

فردت قائلة:

«سآخذ قليلا من الشراب.»

وأخرج مارك قنينة رخيصة من خزانة المطبخ ثم ملأ كأسين وضع احدهما أمام ساشا ورفع كأسه ليشرب نخباً في صحتها اجترعه حتى الثمالة جرعة واحدة. أما ساشا فأخذت رشفة صغيرة وهي تفكر في وسيلة تدفع مارك بها إلى المزيد من الشراب وأخذت ساشا تضع الزبد على الخبز بينما كان مارك يقوم باعداد البيض وكان ظهره إليها فقالت في لهجة حاولت أن تبدو طبيعية وهادئة:

«هل تريد المزيد من الشراب؟»

فرد مارك بالايجاب بدون أن ينظر إليها.

انتهزت ساشا هذه الفرصة لتفرغ معظم ما في كأسها في كأس مارك ثم أضافت إليه المزيد من الزجاجة.

وشعرت ساشا في هذه اللحظة باضطراب شديد وأخذ قلبها يخفق بعنف وقد جفّ حلقها ولكنها في أي حال نفّذت ماتريد.

وبعد قليل انتهى مارك من اعداد البيض وجلس أمامها إلى المائدة وكانت رائحة البيض تفوح شهية وتمنت ساشا لو أنها وافقت عندما سألها إذا كانت تريد أن يعد لها بعضاً منه.

وبعد أن فرغ مارك من شرب كأسه الثانية رفع الزجاجة وهو يسأل ساشا إذا كانت تريد المزيد ولكن ساشا ردت قائلة:

«لا شكراً... ثم أضافت وهي تتظاهر بالنعاس:

«الشراب يجعلني أشعر برغبة في النوم».

فنظر مارك إلى الكأس الفارغة أمام ساشا وهو يقول:

«حسناً... أعتقد أنك ستنامين جيدا».

ثم فوجئت به يقول:

«أخشى أنني سأضطر إلى البقاء معك».

ونظرت إليه وقد علت وجهها الحيرة والدهشة وهي تسأل:

«تبقى معي...أين؟»

فرد تور وهو يهز كتفيه كمن يحاول الاعتذار لها:

«الليلة...في غرفتك».

فقفزت ساشا عن مقعدها الذي سقط وقد فوجئت بهذا الرد وشعرت بالدماء تتجمد في عروقها وأخذت تنظر إليه وقد فقدت القدرة على النطق، وظنت لوهلة أنها ربما تكون أفرطت في الشراب" ولكنها تذكرت أنها لم تشرب منه إلا القليل وأنها في كامل وعيها.

وجاهدت ساشا طويلاً لتتمالك نفسها وأخيراً قالت وهي تحاول التظاهر بالهدوء:

«لا أفهم تماماً ماتعني بكلامك هذا».

فرد مارك وهو ينقر بأصابعه على كأسها الفارغة:

«أعتقد أنك تفهمين قصدي تماماً...».

ثم أردف قائلاً:

«كان لطيفاً منك أن تفرغي محتويات كأسك في كأسي... ولكن لماذا فعلت ذلك وقد كان يمكن أن ترفضي الشراب عندما عرضته عليك».

ولم ترد ساشا فلم تكن قد أفاقت بعد من تأثير هذه المفاجأة وشعرت بيأس شديد ولم تدر ماذا تفعل أو كيف عرف مارك بهذا الأمر مع أنه لم يكن ينظر إليها. ثم هزت رأسها في يأس وهي تنظر إلى مارك الذي جلس في مواجهتها إلى المائدة وساد بينهما في هذه اللحظة جو من التوتر ينذر بالانفجار في أي لحظة.

ثم أخذت ساشا تنقل بصرها في انحاء المطبخ قبل أن تتمالك نفسها وتسأله بصوت خافت:

«هل تتوقع مني بالفعل أن أقضي الليل معك... في الغرفة نفسها وخاصة بعد ماحدث في...»

وأشارت بيدها في اتجاه كوخ السيدة كاسيل - ثم أضافت وهي تهز رأسها:

«لا بد أنك تهذي أو تمزح».

«إنني أقدر شعورك...ولكنني آسف».

ونظرت ساشا إليه وشعرت أنه لا يبدو عليه الأسف كما يقول فابتعدت عن المائدة في غضب إذ لم يكن بمقدورها البقاء لفترة أطول في مواجهة مارك، واختطفت حقيبتها واتجهت مسرعة إلى غرفة الجلوس ثم فتحت الباب الأمامي للمنزل ونظرت إلى الخارج. لكنها توقفت فجأة... حقاً إن الحرية أمامها تبدو في متناول يدها لكنها في الواقع بعيدة المنال فإن مارك لن يدعها تفلت منه وسيلحق بها حتماً.

وبينما هي في وقفتها سمعت صوت مارك من خلفها وهو يقول:

«أنت تعرفين جيداً أنه لن يمكنك مغادرة المنزل».

كان مارك يقف قريباً منها جداً حتى كانت تشعر بملمس يده على ذراعها

مع أنه لم يحاول لمسها على الاطلاق وشعرت ساشا بالاضطراب لكنها ردت في لهجة حاولت أن تبدو هادئة تماماً:

«إنني أرفض أن...أن أبقى معك...»

فرد نور في لهجة باردة:

«يبدو أنه ليس أمامك مجال للاختيار»

والتفت إليه ساشا ونظرت في عينيه فرأت فيهما هذه القوة التي طالما شعرت بها في كل تصرفاته. وفي هذه اللحظة رأته على حقيقته بعد أن نزع عنه الرقة والمرح،وأخذت تنظر إليه في صمت. كانت تتمنى في هذه اللحظة أن تنظر إلى أي شيء في العالم إلا وجه مارك، ولكنها رغماً عنها ظلت تحدق فيه وكان هناك جاذبية لاتدري مصدرها تدفعها إلى ذلك. وشعرت في تلك الشبهات والضوء من خلفه لايكاد يظهر ملامح وجهه بأنه رجل غير عادي... أدركت أنه رجل قوي وأنه يعني حقاً كل ما يقول وليس أمامها بالفعل أي مجال للاختيار.

وشعرت ساشا ببرودة مفاجئة فأخذت ترتعش ثم رأت مارك يبحث عن شيء في جيبه وفوجئت به وقد أخرج سكيناً، فتملكها الرعب، وحاولت أن تركض لكنها لم تستطع بل تسمرت أقدامها ولم تقدر أن تفعل شيئاً سوى أن تراقب ما يفعله فوجدته يخرج السكين من جرابها ببطء ثم يرفعها إلى أعلى في الضوء لتراها وهو يقول في صوت عادي:

«هذه لك يا ساشا...»

٣ـ الدرّاجة النارية

شعرت ساشا برعب شديد وهي تنظر إلى السكين في يد مارك وخيل إليها أن ساقيها لا تقويان على حملها، فتشبثت بحقيبتها واستعدت لتقذفها في وجهه إذا حاول طعنها، ولكن مارك وضع السكين في جرابها الجلدي في هدوء ثم مد يده إليها قائلاً ببساطة:

«خذي...احتفظي بها معك»

وتلعثمت ساشا ولم تقو على الرد، ونظر مارك إلى وجهها وقد اكتسى برعب كبير، فقال لها وقد ضاقت عيناه وامتلأ وجهه بتعبير غريب:

«ما بالك...هل كنت تعتقدين أنني سأطعنك بهذه السكين؟»

هزت ساشا رأسها بالايجاب، فلم تكن تقوى بعد على الكلام، ومد مارك يده فأمسك بيدها وفتح راحتها ووضع السكين فيها ثم أغلقها وهو يقول وقد ارتسم على وجهه شبح ابتسامة:

«هذه السكين لك...لتدافعي بها عن نفسك...لو أنني حاولت مثلاً الاعتداء عليك»

وأخيراً بدأت ساشا تستعيد هدوءها فتنهدت بعمق وهي تقول:

«أنت تعني...أنه يمكنني أن...أن أحتفظ بها»

ونظرت ساشا إلى السكين بخوف ثم سحبتها من جرابها فلمع نصلها الحاد في

الضوء وشعرت بالرعب وسارعت بوضعها في الجراب من جديد بيد مرتعشة ثم نظرت إلى مارك متسائلة:

«ولكن كيف تضمن أنني لن استخدم هذه السكين لأطعنك بها حتى أتمكن من الهرب».

«أعرف أنك لن تفعلي هذا».

والتقت نظراتهما لفترة ثم أضاف قائلاً:

«أنت لا يمكنك استخدام هذه السكين ضدي وأنت في حالتك الطبيعية. لكنني أعتقد أنه يمكنك ذلك في حالة الدفاع عن نفسك».

وبعد فترة صمت أضاف مارك وهو يهز كتفيه بالطريقة الجذابة التي أعجبتها منذ التقته:

«ولكن...هل تعتقدين أنني قد أحاول أن أفعل أي شيء»...لا تخافي، ستكونين في أمان معي وستشعرين بالمزيد من الأمان وأنت تحتفظين بهذه السكين معك..أليس كذلك؟»

ونظرت ساشا إليه وهي تحس أنها أمام شخص غير عادي يمكنه أن يفهم تماماً كل ما تفكر فيه ولم تدر كيف أمكنه ذلك وبهذه الدقة وبدأ اليأس يزحف إلى نفسها اذ أصبح واضحاً لها الآن أنه لن يمكنها الهرب من مارك فهو لن يتيح لها أبداً الفرصة لتحقيق ذلك...رفعت يدها ووضعتها على عينيها حتى لا يرى مارك دموع اليأس والارهاق التي بدأت تتجمع فيهما...وأخذت تفكر فيما كان يمكن أن يحدث لو أن نيجل حضر معها إلى المنزل وماذا كان يفعل في مواجهة مثل هذا الموقف ثم فكرت في والدها...لا بد أنه سيشعر بالقلق عليها اذ اعتادت الاتصال به هاتفياً أو كتابياً بعد وصولها، لكنها تذكرت أنه منهمك في رسومه ولن يشعر بمضي الوقت قبل يومين أو ثلاثة...لكن ما الفائدة فان مارك

سيكون قد أفرج عنها..هل حقا سيفرج عنها؟

وأفاقت ساشا من أفكارها على صوت مارك يقول لها في صوت عادي»:

«والآن...اصعدي إلى الطابق العلوي...وسأتبعك بعد قليل».

ووقف مارك ينظر إليها وهي تعبر غرفة الجلوس ببطء لتصعد درجات السلم في طريقها إلى الطابق العلوي، ولم تحاول ساشا أن تنظر إلى الخلف ولذلك فاتها أن ترى التعبير الذي ارتسم على وجه مارك في هذه اللحظة واختلاج عضلات فكه.

وتوجهت ساشا إلى الحمام لتغتسل وتوقفت وهي في طريقها إليه بباب احدى الغرف. كان الضوء ينبعث من تحته وكانت أصوات الموسيقى الخفيفة تنبعث منها كما أمكنها أن تسمع صوتاً يشبه صوت قطع الشطرنج تتحرك فوق طاولة وفكرت أنهم ربما كانوا يمضون الوقت في لعب الشطرنج بانتظار شيء ما... ولكن ماذا ينتظرون؟ ولما لم تجد ساشا جواباً لهذا التساؤل، مضت بحذر إلى الغرفة حيث ستنام، وهي على يقين من عدم جدوى النزول إلى البهو ومحاولة الهرب اذ سمعت مارك يغلق الباب بالمزلاج وهي تعرف تماماً أنه لن يمكنها فتح المزلاج لأنه قديم وسيحدث صوتاً عالياً يوقظ كل من في المنزل.

ودخلت ساشا إلى الغرفة وارقت تحت الوسادة ثم سحبت ملاءة خفيفة وضعتها فوقها.

كان المطر مازال يتساقط في الخارج ورقدت ساشا في سكون وهي لا تدري ما تفعل وبعد فترة سمعت صوت باب الغرفة يفتح فامتدت يدها لا شعورياً تحت الوسادة لتطمئن على وجود السكين، ثم حاولت التظاهر بالنوم، وشعرت بمارك يقف في جوار السرير ساكناً..كانت تعرف أنه ينظر إليها فجاهدت لتبدو

مستغرقة في النوم ويبدو أن المظهر أقنعه بذلك فعلاً، اذ شعرت بيديه تمتدان إلى السرير والملاءة لتغطيها في حذر شديد بدون أن يحاول أن يلمسها، ثم سمعته بعد ذلك يتجه إلى السرير الآخر المجاور لسريرها ليستلقي عليه.

وحاولت ساشا أن تستعيد هدوءها وهي تستمع إلى صوت المطر يتساقط في الخارج، لكنها كانت تشعر بالاضطراب الشديد وهي تعلم أنها تنام في غرفة واحدة مع هذا الشخص الغريب الذي لم تتعرف إليه إلا منذ ساعات قليلة...الشخص الغريب العنيف السريع الغضب يرقد على بعد بضعة أقدام منها.

وأذهلت ساشا هذه الحقيقة وحاولت أن تفكر في مخرج من هذا الموقف، لكن عقلها قد توقف تماماً عن التفكير بعدما أرهقته أحداث الساعات الماضية.

وحاولت ساشا أن تظل مستيقظة لكنها كانت تشعر بإرهاق شديد كما أن القدر الضئيل الذي تناولته من الشراب جعلها تشعر برغبة في النوم فأغمضت عينيها ووضعت يدها على السكين استعداداً لأي حركة قد تبدو من مارك.

وعندما فتحت ساشا عينيها من جديد كان صوت المطر قد توقف وتسلل ضوء القمر الى الغرفة ونظرت ساشا حولها فرأت مارك يرقد في سريره فتذكرت فجأة الوضع الغريب الذي وجدت نفسها فيه. جلست في السرير وقد تصبب وجهها عرقاً ورفعت يدها تتحسسه فقد رأت في منامها شخصاً يضربها بسكين فيصيبها في وجهها...وتذكرت السكين التي أعطاها لها مارك فمدت يدها تحت الوسادة تطمئن إلى وجودها.

ونظرت ساشا إلى مارك وكان يستلقي على جانبه مديراً ظهره إليها وكان نفسه عميقاً ومنتظماً ووضع أحدى ذراعيه تحت رأسه. أما ذراعه الأخرى فتدلت من السرير وكان نصفه الأعلى عارياً وانعكس ضوء القمر على جلده النحاسي

قيداً لامعاً.

وانزلقت ساشا من سريرها في هدوء واتجهت حافية القدمين في حذر شديد إلى باب الغرفة وفجأة سمعت صوت مارك القوي يسأل:

«أين تذهبين؟»

وتجمدت ساشا في مكانها وارتفعت دقات قلبها وهي تجيب في تلعثم:

«إلى...إلى الحمام»

«وإذن اذهبي...وتذكري جيداً أنني احكمت اغلاق الأبواب وإذا حاولت فتح أي باب سأسمعك ولن يمكنك الهرب مني»

وخرجت ساشا وعندما عادت كان مارك مازال مستلقياً فوق سريره فاتجهت إلى النافذة لأنها شعرت بحاجة الى هواء الليل المنعش. وكان الوقت حوالي الثالثة صباحاً وخيل إليها وهي تنظر من النافذة أنها تسمع صوت موسيقى يأتي من بعيد فشعرت بالوحدة والضياع وهي تتخيل أن الجميع يمرحون في الخارج ومازالوا يسهرون حتى الآن وهي محبوسة هنا وحيدة.

وأمسكت بحافة النافذة وتدلت منها لتنظر إلى الارض تحتها وكانت قريبة منها وتمنت في هذه اللحظة لو أن معها حبلاً تتدلى به وتهرب.

ولاحظت وهي تقف بجوار النافذة أن مارك يتقلب في فراشه ويبدو كأنه يفقد صبره لكنها ظلت في مكانها وسمعته يناديها وتجاهلت ذلك فكرر نداءه فالتفتت إليه وهي تقول:

«حسناً...ماذا تريد؟»

فقال متسائلاً:

«ألا يمكنك النوم؟»

فردت بالنفي وكانت صادقة في ردها، كانت حواسها متيقظة تماماً في ذلك الوقت

ثم اجابت وهي تتعمد مضايقته:

«أريد الخروج للتريّض قليلاً».

ولم تدر ساشا ما إذا كانت قد نجحت بالفعل في مضايقته لأنه لم يكن بامكانها رؤية وجهه بل سمعته يضحك قائلاً:

«عودي الآن إلى سريرك».

«لا فانني أفضل الوقوف بجوار النافذة».

«أتفضلين ذلك حقاً.. إذن سأقف الى جانبك لنشاهد معاً ضوء القمر، هل تريدين ذلك. أعتقد أنه سيكون شيئاً جميلاً».

وأحست ساشا بمارك يزيح الغطاء كأنه يستعد لمغادرة السرير فالتفتت إليه سريعاً اذ كان وقوفه إلى جانبها أبعد شيء تتمناه في هذه اللحظة، وسمعته يضحك كأنه كان يعرف شعورها تماماً.

وشعرت ساشا في هذه اللحظة باليأس والضعف إزاء هذا الرجل القوي الذي يمكنه أن يحبط أي محاولة من جانبها للهرب.

وأحست بغضب مفاجيء، فاندفعت بدون وعي منها لتقذف بنفسها فوق السرير وهي تضربه بقبضتها على صدره بعصبية وبلا هوادة.

وبدا مارك كأنه يتوقع منها مثل هذا التصرف فجذبها بقوة لتسقط فوقه ثم تزحزحت بنفسها بعد ذلك ومارك يجثم ممسكاً بكلتي يديها ولا حيلة لها كحشرة صغيرة بين خيوط العنكبوت.

ثم قال مارك في لهجة جادة:

«والآن.. يا آنسة ساشا هل يعجبك هذا؟»

واستلقت ساشا في هذا الوضع ساكنة تماماً وهي تعجب من نفسها لأنها لم تشعر بالاستياء لذلك كما أن مارك لم يكن يمسك بيديها بطريقة تسبب لها أي

ألم وأخذت تفكر بما يمكنها أن تفعل. وأخيراً سمعته يقول:

«يجب أن تعرفي أنني أخذت الحزام الأسود في الجودو والكاراتيه وحتى لو لم يكن ذلك. كيف تتخيلين أنه يمكنك وأنت الفتاة الرقيقة التغلب عليّ؟»

ولم ترد ساشا لأنه لم يكن هناك أي مجال للمجادلة وأخذت تحرك رأسها في محاولة للتخلص منه ولكن مارك لم يتركها.

ثم شعرت بيده تتحرك لتلمس وجهها وهو يقول في صوت هامس:

«إنك جميلة جداً، جميلة يا آنسة ساشا دونيلي».

وشعرت ساشا بشفتيها تحترقان فاضطربت وحاولت التخلص منه فجذبها مارك بقوة ليجلسها فوق السرير ثم ركع إلى جوارها وهو يلهث قائلاً في صوت خشن:

«لا تحاولي أن تفعلي ذلك مرة أخرى يا صغيرتي. ألا تدركين خطورة ما تفعلين أم أنك بريئة إلى درجة أنه لا يمكنك أن تدركي ما يمكن أن يفعله أي رجل في مثل هذا الموقف؟»

ثم ترك السرير فجأة ووقف وهو يجذب ساشا ليوقفها قائلاً في صوت رقيق:

«مازلت في انتظار ردك».

وكان مارك مازال محتفظاً بيدها في يده وشعرت بأصابعه وهي تضغط برفق على رسغها وتملكها شعور بالراحة لكنها ردت وهي تتظاهر بأنها لا تفهم قصده:

«لا افهم ماذا تعني، هل تعتقد انني مادمت هنا.. «ضيفة» كما يحلو لك ان تقول فانه يمكنك ان تفعل معي اي شيء».

ثم اضطرب صوتها وهي تقول:

«إنني أكرهك».

«لا إنك لا تكرهينني فأنت لم تعرفيني بما فيه الكفاية حتى تقولي ذلك، ربما لا تحبينني بسبب تصرفاتي معك ولكن تكرهينني...لا...وإنني على يقين من أنه لا يمكنك أن تكرهي أحداً».

ونظرت ساشا إلى وجهه الذي كان يلمع تحت ضوء القمر وقالت:

«أنت لا تعرف عني شيئاً على الاطلاق».

«ولكنني أشعر أنني أعرفك حق المعرفة».

ثم توقف لحظة قبل أن يقول:

«ولكنك لم تردي على سؤالي، ألا تعرفين ما يمكن أن يحدث عندما ترقدين في أحضان رجل مستلق فوق سريره، أجيبي على سؤالي لأنك إذا كنت تجهلين ذلك فيجب أن تعرفي الآن قبل أن تجدي نفسك في موقف صعب».

وجذبت ساشا يدها من يد مارك في غضب وهي تقول:

«لست في حاجة لأن أتعلم منك».

فابتسم مارك وهو يهز كتفيه قائلاً:

«حقاً؟ في أي حال وعدتك بعدم التعرض لك، كما أن معك السكين».

ثم أضاف في لهجة ساخرة:

«وأكون غبياً جداً لو أنني حاولت التعرض لك في مثل هذه الحالة أليس كذلك؟»

ولم ترد ساشا عليه بل اتجهت إلى سريرها ثم سمعته يقول لها:

«كنت أعتقد أنك تريدين الخروج للتريض قليلاً».

فتنهدت ساشا بعمق وهي تقول:

«نعم كنت أود ذلك...ولكن...»

«إذن فلنذهبْ ...تعالي فإنني لم أعد أشعر برغبة في النوم...سنذهب للتريض قليلاً ثم نعود لنشرب بعض الشاي أو القهوة ثم نعود للنوم بعد ذلك».

قال مارك ذلك في لهجة جعلت ساشا تشعر كأنها تمضي معه أجازة لطيفة وشعرت بنوع من الاضطراب وهي تفكر في أنها ستقوم معه بنزهة في ضوء القمر في الفجر، إنها لم تفعل ذلك من قبل ولذلك فالمسألة تبدو مثيرة بالنسبة إليها حقاً إنها لا تحب مارك ولكنها تشعر بالراحة للخروج معه الآن لأنها لا تستطيع النوم وتشعر بأمس الحاجة إلى الخروج في الهواء المنعش خاصة بعد الموقف العنيف التي حدث بينهما.

واندفعت الدماء الحارة في عروقها وهي تستعيد ماحدث فأشاحت بوجهها بعيداً عن مارك حتى لا يرى ما ارتسم عليه من تعبير ثم قالت وهي تنحني فوق حقيبة ملابسها:

«حسناً...سأحضر معطفاً خفيفاً لأضعه فوق كتفي».

واتجه مارك إلى باب الغرفة وأضاء النور ثم وضع قميصه فنظرت إليه ساشا وهي تقول:

«هل هذا يكفي...ألن تشعر بالبرد؟»

«إن صدريتي في المطبخ، فلنذهب الآن».

ثم بدا وكأنه تذكر شيئاً فقال:

«نسيت السكين...أين هي؟»

«تحت الوسادة...ولكن لماذا تسأل؟»

وراقبته ينحني ليأخذ السكين فسألته في لهجة حاولت أن تبدو هادئة وقد بدأت تشعر بالخوف والشك:

«ولكن...لماذا تأخذ السكين؟»

«لماذا...لأنه...»

ثم هز كتفيه وقد بدا عليه أنه لا يعرف ماذا يقول ثم أضاف:

«لأن الليل قد يكون خطراً. تعالي الآن...»

وتبعته ساشا إلى أسفل وعندما وصلا إلى البهو قال بصوت هامس:

«سأذهب إلى المطبخ لأحضر صندريتي، انتظري هنا».

وبعد قليل عاد وخرجا معاً من المنزل وسارا في الممر الحجري متجهين إلى الطريق الرئيسي وعندما وصلا إلى المنطقة التي تقابلا فيها أول مرة توقفت ساشا وهي تسأل:

«أين سيارتي؟»

«لا تخافي سيارتك في أمان، وضعتها في الكاراج خلف المنزل».

«وهل أدوات الرسم الخاصة بي موجودة فيها؟»

«نعم ويمكنك أخذها غداً لترسمي إن أردت».

وسألت ساشا في نوع من التهكم:

«وأين أرسم...على الشاطىء؟»

فابتسم مارك وهو يقول:

«في الحديقة...حيث يمكنني ان اراك».

وشعرت ساشا بأن شيئاً ما قد تغيّر في مارك وإن لم تكن تعرف تماماً ما هو وشعرت بأن التوتر بينهما بدأ يخف إلى حد ما.

وكان الطريق وعراً ومن الصعب في الظلام رؤية النتوءات الحجرية البارزة لكن مارك كان يمشي في ثقة تامة، وتذكرت قوله أنه حائز على الحزام الاسود في الجودو والكاراتيه إنها تصدقه. وهي في الحقيقة تصدق كل ما يقول كما تؤمن أنه لن يؤذيها متعمداً. في أي حال مهما كان مارك سيئاً فانها ترى فيه بعض صفات الفروسية ومن أهمها عدم إيذاء أية سيدة. وكان ذلك يشعرها بالأمان إلى حد ما. ولكن في الوقت نفسه كانت هناك أشياء أخرى كثيرة تثير قلقها ومخاوفها

ولا تستطيع أن تجد لها تفسيراً.

وفجأة تعثرت قدم ساشا فاستندت إلى ذراع مارك فشعرت به وهو يتألم من أثر محاولتها ضربه بالقضيب الخشبي في المطبخ وسألته:

«هل يوجد في المنزل بعض الاسعافات الأولية؟»

فقال وقد بدت الحيرة على وجهه:

«نعم...ولكن لماذا تسألين؟»

«لأنني أريد أن أضمد لك كتفك».

فضحك مارك وهو يحيط خصرها بذراعه وقال:

«لا تلقِ بالاً إلى ذلك فان ذراعي قوية كما ترين ويمكنها أن تعتني بفتاة جميلة مثلك».

لم تشعر ساشا بالضيق ومارك يضع ذراعه حول خصرها، لكنها لم تكن تريده أن يشعر بذلك فتظاهرت بعدم الارتياح.

كان الجو جميلاً في ذلك الوقت وصفت السماء تماماً من السحب فبدت لامعة وظهر القمر عالياً وواضحاً في السماء، وتوقفت ساشا عن السير ووقفت تنظر إلى القمر وصاحت قائلة:

«أوه... انظر إلى القمر، كنت أعتقد أن شكله سيتغير بعد وصول الانسان إليه لكنه كما كان دائماً».

ونظر مارك وهو يبتسم لكنه لم يعلق بشيء، ووقفا صامتين بعض الوقت على الطريق الذي تحيط به الأسوار العالية. وفجأة شعرت ساشا بالبرودة تسري في أوصالها فقالت في صوت هامس:

«أريد العودة إلى المنزل».

«لماذا...ماذا حدث؟»

«...لانني...أنه مجرد...»

ولم تدر ساشا ماذا تقول فقد شعرت في هذه اللحظة بأن هناك شخصاً ما يراقبهما فقالت:

«إنني...خائفة»

«خائفة...مني؟»

«لا...ليس منك...إنني خائفة من شيء...من شخص...أشعر أن هناك من يراقبنا»

ونظرت ساشا إلى وجه مارك فرأته وقد اختفت الابتسامة عن شفتيه ثم فوجئت به يحتضنها ويقول شيئاً باللغة الروسية ثم عانقها وهمس في أذنها قائلاً:

«حاولي التصرف بطريقة طبيعية، وضعي ذراعك حول خصري ونحن نعود إلى المنزل، هل تفهمين؟»

وسارا معاً ببطء في اتجاه المنزل وهو يتعمد الضحك بصوت مسموع بين آن وآخر كما لو كانا يتهامسان بما يثير الضحك.

وأدركت ساشا فجأة سبب التغيير الذي طرأ على مارك ولماذا وافق على الخروج معها، أراد استخدامها كأداة ليضلل أعدهم.

ودخلا إلى المنزل وبعد أن أغلق مارك الباب التفتت إليه ساشا وصفعته بكل قوتها، وأعقب ذلك فترة صمت قال بعدها مارك في صوت غاضب:

«لماذا فعلت ذلك؟»

«أنت تعرف لماذا، لأنك استخدمتني كأداة لتحقيق أغراضك.»

وبدت آثار أصابعها بوضوح على وجهه ولكنه لم يحاول أن يرفع يده ليتحسس الصفعة واكتفى بالنظر إليها وقد ظهرت في عينيه نظرة مخيفة وهو يقول:

«لنفترض أنني فعلت ذلك»

«إنني لا أحب أن استخدم كأداة...أعرف أنك تقوم بعمل سري، وربما يكون الأشخاص الذين يراقبوننا كذلك أيضاً ولكنني أرفض أن يستخدمني أحد لتحقيق أغراضه... هل تعتقد كذلك أيضاً وانهم ظنوا أنني زوجتك المفروض أن تكون معك الآن لقضاء شهر العسل؟»

فهز مارك كتفيه قائلاً:

«ربما...لست أدري...وربما خيل اليك أن أحداً يراقبنا، فإنكم معشر النساء تتوهمن أحياناً رؤية أشياء، أو سماع أصوات»

«من المؤكد أنك أيضاً توهمت ذلك، ونظرت الى وجهك ورأيت التغيير الذي طرأ على تعبيراتك في تلك اللحظة، وربما كان هذا هو السبب في أنك أخذت السكين معك.»

قالت ساشا وهي ترفع يدها إلى فمها اذ شعرت بتعب مفاجئ، فأخرج مارك السكين من جيبه وناولها اياها قائلاً:

«خذي...احتفظي بها معك.»

ولكن ساشا كانت تشعر بغضب شديد فطوحت بالسكين من يده في عصبية لتقع على الأرض على بعد بضعة أقدام منها وقالت:

«احتفظ أنت بها أنا على يقين أنك أقدر مني على استخدامها.»

ثم صاحت في ضيق وهي تطلب منه أن يترك ذراعها فقد شعرت بقبضته كالفولاذ وهو في قمة غضبه.

فرد مارك وهو يزمجر قائلاً:

«أحياناً أشعر أنه قد يكون من السهل جداً بالنسبة اليّ لو أنك رجل.»

«حقاً، اترك ذراعي، فأنت أقوى بكثير من أي شخص آخر، أليس كذلك؟»

ثم أضافت وهي تدلك رسغها بعدما تركها:

«قلت لي من قبل، أنني يجب أن أعرف أي شخص جيداً قبل أن أصرح بأنني أكرهه..حسناً..أعرفك الآن جيداً وأكرهك.»

ثم اندفعت ساشا بعد ذلك تصعد درجات السلم وهي تركض متجهة إلى غرفتها من غير أن تحاول الالتفات إلى الخلف.

لم يصعد مارك إلى الغرفة مرة أخرى، واستلقت ساشا على سريرها وقد جفاها النوم طويلاً. وعندما استيقظت بعد ذلك كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة ونظرت إلى سرير مارك فوجدته خالياً وظنت للحظة ربما حدث له شيء، وراعها هذا الخاطر، ولكنها أدركت أن شيئاً لم يحدث فقد بدأ الهواء يحمل إليها رائحة الطعام والقهوة.

جلست ساشا في سريرها وقد بدأت أحداث الليلة الماضية تعود إلى ذهنها. وكان الباب موارباً ورائحة الطعام النفاذة تصل إليها فشعرت بالجوع..لكنها لم تكن تستطيع النزول ومواجهة مارك بهذه البساطة، بعد كل ما حدث وبعد كل ما قالته وفعلته معه.

وبينما هي تجلس في سريرها عاقدة اليدين حول ركبتيها تفكر في أمرها، سمعت نقراً خفيفاً على الباب ثم سمعت صوت مارك يسأل:

«هل يمكنني الدخول؟»

ونظرت ساشا إلى الباب وهي لا تدري ماذا تقول ثم قالت:

«نعم يمكنك الدخول.»

ودخل مارك يحمل قدحاً وهو يقول في صوت بدا بارداً:

«صباح الخير، أحضرت لك قدحاً من القهوة، هل تريدين أن أحضر لك فطورك الى الغرفة؟»

«لا. سأتناوله في المطبخ إذا كان ذلك ممكناً.»

«بالطبع، ولكن ليس قبل أن تشربي القهوة وتغتسلي.»

وجلست ساشا وأخذت تفكر وتجول ببصرها في أنحاء الغرفة. اليوم هو يوم الجمعة وهو أول أيام عطلتها والجو يبدو صحواً وجميلاً. ومن المؤكد أن تستمتع به أيّ استمتاع، ولو سارت الامور بطريقة طبيعية فربما توجهت اليوم لزيارة العمة ماري في كان كما وعدتها من قبل، ثم ربما مارست هوايتها في الرسم بعد ذلك في حديقة المنزل، ولكن كل شيء تغيرّ وهي لا تدري ماذا تفعل.

وفجأة خطرت لها فكرة صممت على تنفيذها، لن تخسر شيئاً. كل ما يمكن أن يحدث هو أن يرفض مارك ولن يضيرها ذلك في شيء، فهي تتوقع معه مثل هذا الموقف.

وعندما جلست إلى مائدة الافطار قالت له:

«وعدت عمتي بزيارتها في كان اليوم، ولذلك فانها سوف تكون بانتظاري ولا أريد أن أسبب لها أي قلق فهي سيدة عجوز...»

ثم استطردت بعد أن استجمعت شجاعتها:

«هل يمكنني الذهاب لزيارتها؟»

«حسناً..يمكنك الذهاب...شرط أن أذهب معك.»

ونظرت ساشا إلى مارك الذي رفع قدحه وهو ينظر إليها بشيء من السخرية ثم قال:

«هل اعتقدت أنني سأرفض طلبك؟»

فلما ردت بالايجاب أضاف قائلاً:

«هل تعرفين لماذا وافقت على طلبك؟ لأنني أعتقد أنك تقولين الصدق هذه المرة، لا كما حدث بالنسبة الى والدك. فأنت لا تحسنين الكذب يا ساشا.»

ثم نظر إليها وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال:

«سنذهب في الحال... إن أردت ذلك.»

فخفضت ساشا بصرها سريعاً وهي تحاول اخفاء نظرة الفوز التي ارتسمت في عينيها وقد تزاحمت في رأسها جميع الاحتمالات.

ثم استطرد مارك:

«ولكنني أحذرك منذ الآن، لا تحاولي الهرب، سأراقبك بدقة.»

وحاولت ساشا أن تضحك وهي تقول:

«يا إلهي، بالطبع لن أفعل ذلك، فإن أي شيء من هذا القبيل قد يقتل عمتي العجوز.»

فسألها مارك:

«هل لي أن أسأل، كيف يكون لك عمة فرنسية؟»

«إنها ليست في الواقع عمتي بمعنى الكلمة، ولكن والدي كانت له صداقات وطيدة في فرنسا أثناء الحرب حيث كان في مهمة سرية، والعمة ماري والدة أحد أصدقائه الذي توفي منذ فترة. لكن والدي استمر على علاقته بالسيدة العجوز التي تقوم بزيارتها من وقت لآخر، وهي تبلغ من السن الآن حوالي الثمانين عاماً.»

ثم خطرت لساشا فكرة مفاجئة فنظرت إلى مارك في خوف وهي تسأل:

«إنك لن... أعني...»

«ماذا، هل تعتقدين أنني قد أقوم باختطافها.»

ثم أضاف وهو يبتسم.

«أعتقد أنه لا يوجد مكان في المنزل للمزيد من الأشخاص، أليس كذلك؟ في أي حال تذكري أن كل شيء يتوقف على الطريقة التي ستتصرفين بها. هل تفهمين

ما أعني؟»

فردت ساشا بالايجاب وهي تدرك تماماً معنى كلامه.

قال مارك وهو يرفع طبقه عن المائدة:

«حسناً، بدأت في التعقل قليلاً، وأعتقد أنك ربما تصدقين الآن أنني أعني تماماً ما سبق أن قلته لك. أنني لن أحاول إيذاءك.»

ولم ترد ساشا بل رفعت طبقها عن المائدة واتجهت إلى المغسلة وهي تقول:

«سأقوم أنا بغسل الأطباق.»

«إذا كنت تودين ذلك حقاً.»

وشكرها مارك ثم خرج من المطبخ وتركها بمفردها. ونظرت إليه ساشا وهو يخرج من المطبخ وشعرت في هذه اللحظة وهي تنظر إلى ظهره بعواطف مختلفة تتنازعها ولم تكن تفهم تماماً شعورها، ولكن الشيء الوحيد الذي كان مؤكداً لها انه لا يمكنها ابداً أن تفهم هذا الرجل المدعو مارك.

وصعدت ساشا إلى حجرتها حيث بدلت ثيابها وغسلت ثياب اليوم السابق وعلقتها لتجف وكان الجو حاراً والسماء صافية تماماً ورأت ساشا في البعد طائرة تحلق في السماء، وامتلأ الجو بشذى الأزهار، وكانت تترامى الى أذنيها زقزقة العصافير وهي تغرد فوق أغصان الأشجار.

وأخذت ساشا تفكر فيما يحدث بعدئذ، وهل سيتركها مارك تقود سيارتها السيتروين الصغيرة أم سيصر هو على قيادتها.

وبعد تناول الغداء صعد مارك إلى الطابق العلوي ثم نزل إلى البهو وقد بدل ملابسه وبدا وهو يهبط السلم شخصاً آخر وبدت عليها الدهشة فنظر إليها مارك مبتسماً وهو يقول:

«لا تقلقي... إنه أنا حقيقة.»

فسألته في برود:

«هل اعتدت على التنكر عند الخروج؟»

«أتنكر؟»

قال مارك في دهشة وهو يخلع نظارته الشمسية وينزع عن رأسه قبعة من القش كانت متناسبة تماماً مع الذي يرتديه ثم أضاف:

«هل تسمين ذلك تنكراً؟»

ولم يكن مارك قد غيّر كثيراً من ملابسه، لكنه كان يبدو في شكل مختلف ولاحظت ساشا أنه يضع في جيب سرواله الخلفي سكيناً.

ووضع مارك النظارة الشمسية فوق عينيه من جديد وبدا لها جذاباً للغاية وهو يضع قبعة القش فوق رأسه في غير اكتراث ثم تقدم من ساشا وأمسك بذراعها وخرجا معاً من المنزل.

واتجها إلى الحديقة الخلفية وانتظرت ساشا مارك وهي تعتقد أنه سيحضر سيارتها بدلاً من ذلك فوجئت به وقد أحضر دراجته النارية.

وتملكها رعب شديد وهي تنظر إلى الدراجة وصاحت قائلة:

«أوه... لا... أرجوك.»

فنظر مارك حوله وقد أدهشه موقفها ثم ارتسمت على جبينه تقطيبة وهو يسألها:

«ماذا حدث الآن ؟»

«كنت أعتقد أننا سنذهب بالسيارة...»

«لا، فالدراجة أفضل وأسرع. تعالي اجلسي خلفي على المقعد وضعي ذراعيك حولي.»

وعضت ساشا على شفتيها في غيظ ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً سوى

ن تمتثل لأمره وتجلس خلفه على الدراجة البخارية في حذر فالتفت إليها وهو يقول:

«ضعي ذراعيك حولي، وإلا تعرضت للسقوط.»

فردت وهي تضغط على أسنانها:

«لم أركب دراجة من قبل.»

«حقاً تقولين...» ثم أضاف ضاحكاً: إذن فستكون تجربة مثيرة بالنسبة إليك.»

وردت ساشا بالايجاب في صوت مضطرب. ووضعت ذراعيها حول مارك وقد التصقت به ودفنت وجهها بين كتفيه العريضتين، وشعرت بالدفء والقوة ودهشتها الشديدة وجدت أنها ترتاح إلى وجودها بالقرب منه.

ثم سمعت صوت مارك يقول لها:

«أمسكي بي جيداً يا ساشا فإننا سنبدأ السير.»

وأدار الدراجة وانطلق بها فأغمضت ساشا عينيها وقد تملكها رعب شديد، كان الموقف أصعب مما كانت تتصور وتشبثت به بقوة وهما يهبطان الممر الحجري.

وكانت تتصور في كل لحظة أنها ستسقط عن الدراجة. ثم أخذ يدور بالدراجة وهو يحاول تحاشي النتوءات الحجرية البارزة فازدادت تشبثاً به ودفنت وجهها في ظهره في انتظار ما سيحدث.

ثم هدأت السرعة فجأة ففتحت احدى عينيها وهي تسائل نفسها إذا كانوا قد وصلوا الى المكان وجاءها صوته متسائلاً:

«ساشا هل يعجبك ذلك... امسكي بي جيداً.»

فأجابت في صوت ضعيف:

«متى أصل؟»

فضحك مارك ونظرت هي حولها فاكتشفت أنه خفف السرعة لأنهما وصلا

إلى نهاية الممر حيث يلتقي بالطريق الرئيسية من السيارات ثم التفت إليها يسألها:

«هل تشعرين حقاً بالخوف؟»

فأجابته بالايجاب فأوقف الدراجة وهو يقول:

«إنني آسف. هل ترغبين في العودة إلى المنزل لنستقل السيارة؟»

وظنت ساشا للحظة أنه يمزح فنظرت إليه سريعاً ولكن وجهه كان جاداً وكان ينتظر اجابتها. فهزت رأسها ببطء وهي تقول:

«لا. إن كل شيء على ما يرام. كل ما في الأمر أنني لم أمر بمثل هذه التجربة من قبل.»

«تركنا الطريق الوعرة. أما الآن فإن هذا الطريق ممهد ولن أمضي سريعاً.»

وابتلعت ساشا ريقها وهي تقول:

«أعرف ذلك. أشعر أنني سخيفة. أرجوك أن تمضي في طريقك.»

وأدار مارك الدراجة من جديد وانطلق بها ولدهشتها الشديدة لم تعد تشعر بأي خوف وأحاطته بذراعيها بدون أن تتشبث به كما كانت تفعل من قبل.

وبدأت تستمتع بالركوب على الدراجة ومارك يندفع بها بين السيارات في سرعة متوسطة ويبدو أن مارك لاحظ ذلك فصاح قائلاً:

«تشعرين الآن بتحسن... أليس كذلك؟»

فردت في صوت عال حتى يمكنه سماعها:

«نعم... إنه شيء رائع فعلاً.»

وتوقفا بالقرب من كان للتزود بالوقود وفي مواجهة محطة الوقود مقهى صغير مع حديقة. ووقفت ساشا تنتظر يقف بجانبها مارك وكانت تشعر

ساقيها ترتعشان بعد طول جلوسها فوق مقعد الدراجة ثم التفت إليها مارك وقال:

«هل تريدين شراباً؟»

فنظرت إليه متسائلة:

«هل يمكننا... أعني.»

فابتسم مارك وقد فهم قصدها وكان يبدو جذاباً للغاية وقد غطى عينيه بالنظارة الشمسية وقال:

«يمكننا ذلك... مادمت تتصرفين بحكمة. هل تفهمين ما أعني؟»

فأجابت بالايجاب. كانت تشعر بعطش شديد فقال مارك:

«تعالي. وستصفين لي مكان منزل عمتك بينما نجلس ونتناول الشراب.»

وترك مارك الدراجة في المحطة وأمسك بذراعها وهما يعبران الطريق إلى المقهى وشعرت ساشا في هذه اللحظة بمدى ضآلة حجمها بالمقارنة معه. ثم قال:

«هل نجلس في هذه الحديقة؟ أعتقد أنها أفضل.»

فردت ساشا في صوت خافت:

«ولا يوجد فيها أحد.»

ولكن مارك سمعها فانفجر ضاحكاً وهو يقول:

«إنك تبدين في حال أحسن الآن. ويخيل إلي أنك بدأت تعودين إلى حالتك الطبيعية.»

ثم أضاف وهو يسحب أحد المقاعد في ركن الحديقة لتجلس عليه:

«هل تعرفين يا ساشا انني بدأت اشعر بالقلق عليك.»

«هل حقاً ما تقول؟»

قالت ساشا ذلك وهي تجول ببصرها في أنحاء المكان اذ كانت لسبب لاتدريه تحاول أن تختزن في ذاكرتها صورة دقيقة لكل ما يحيط بها. كان المكان لطيفاً ويحيط بالحديقة من الخلف جدار حجري نمت عليه بعض النباتات المتسلقة وانتشرت في المكان بعض الزهور الصفراء، وكان المكان يفوح برائحة الوقود والثوم ونوع من العطر لم تستطع ان تميزه.

وجاء الخادم يسأل مارك عما يريد، وقد بدا عليه أنه في عجلة من أمره ليعود إلى المائدة التي تجلس إليها فتاة شقراء بمفردها خارج الحديقة.

وبعدما طلب مارك قدحين من عصير الليمون أخرج علبة سكائر وقدم سيكارة لساشا لكنها رفضت وجلست تراقبه وهو يشعل سيكارته ويضع الولاعة على المائدة أمامه. وكان يجلس في نوع من الاسترخاء، وقد غطى جبهته بالقبعة. وعلى الرغم من أنه لم يكن بمقدورها أن ترى عينيه اللتين أخفاهما وراء النظارة الشمسية لكنها كانت تدرك تماماً أنه يراقبها مما جعلها تشعر بالاضطراب.

ونظرت ساشا حولها، كانت الحديقة خالية إلا منهما... وقطة سوداء صغيرة تجلس فوق الحائط الحجري... وفتحت ساشا حقيبتها تبحث عن مرآتها فاكتشفت اختفاء جواز سفرها، ورآها مارك تفتش في محتويات الحقيبة فسألها:

«عم تبحثين... هل فقد منك شيء؟»

«نعم، جواز سفري، لا أجده في الحقيبة.»

ثم نظرت إليه عبر المائدة وسألته:

«هل أخذته؟»

«أنا، ولماذا أفعل ذلك؟»

فردت ساشا وقد شعرت أن مارك وراء اختفاء جواز سفرها:

«هل من الضروري أن تختبيء وراء هذه النظارة. لا أستطيع رؤية وجهك.»

فخلع مارك النظارة ببطء وهو يقول:

«هل هذا أحسن.»

أضاف وهو يضع النظارة فوق المائدة:

«قد تعثرين على جواز سفرك عند العودة إلى المنزل.»

«ربما أجده ولكنني على يقين أنه لم يسقط من حقيبتي. إذا كنت تريد أن توهمني بذلك.»

ثم توقف فقد حضر الخادم في ذلك الوقت قدحين من عصير الليمون. ثم استطردت:

«إنني أغلق الحقيبة جيداً ولا يمكن أن يسقط منها شيء، كما أنك دخلت الغرفة بينما كنت مستغرقة في النوم.»

«آه... إنك تفكرين بطريقة سليمة.»

فسألته ساشا في انفعال:

«هل فعلت ذلك؟»

«فعلت ماذا؟»

«أخذت جواز سفري.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة بغضب مفاجيء. إنها لم تقابل في حياتها رجلاً يمكنه أن يدفعها إلى الغضب بهذه الصورة. كان يشعرها دائماً وفي كل لحظة أنه سيد الموقف.

وهز مارك رأسه وهو يقول في هدوء:

«نعم أخذته. ولكنه في أمان وسأعيده إليك فأنا أريد الاحتفاظ به لبعض الوقت.»

واتسعت عيناها وشحب وجهها من شدة الغضب وهي تسأل:

«ولكن لماذا؟»

«لتتأكد من انك فعلاً ساشا دونيلي كما تقولين.»

«ولكن كيف؟ كيف يمكنكم ذلك؟»

«لنا وسائلنا الخاصة.»

فنظرت إليه ساشا وهي تقول في اصرار:

«إنني كما قلت لك من قبل، ساشا دونيلي.»

ثم امتدت يدها في حركة يائسة إلى عنقها لتنتزع منه سلسلة فيها قلادة صغيرة وهي تقول:

«أنظر، افتح هذه واقرأ ما كتب بها، اعطتها لي أمي قبل موتها وقد احتفظت بها دائماً.»

ومد مارك يده وأخذ منها القلادة ثم فتحها بعناية وكانت بداخلها صورة السيدة دونيلي وقد حفر على غطاء القلادة تاريخ إهداء الصورة مع عبارة: إلى ساشا من ماما.

وبعد أن انتهى من قراءة ما كتب عليها مدت ساشا يدها فأخذتها منه وهي تسأل :

«هل تعتقد أنني زورت ذلك؟»

واندفعت الدموع إلى عينيها وهي تكرر سؤالها:

«هل تعتقد ذلك فعلاً؟»

«لا...لا أعتقد ذلك.»

وأحنت ساشا رأسها لتضع القلادة من جديد حول عنقها وكانت أصابعها ترتعش فلم تتمكن من اغلاق السلسلة فقام مارك من مقعده ووقف خلفها وهو يزيح شعرها الحريري عن عنقها في محاولة لمساعدتها.

وشعرت ساشا بعنقها يحترق تحت ملمس يده الدافئة وظلت ساكتة حتى انتهى من إغلاق السلسلة وهو يقول:

«كان من الضروري أن تفعل ذلك، وأن نتأكد من شخصيتك.»

ثم عاد إلى مقعده ولم تقو ساشا على النظر إليه في هذه اللحظة وهي تقول:

«إنني لا أرى داعياً لذلك.»

«ستعرفين كل شيء بعد وقت قليل، والآن أعطيني عنوان عمتك.»

«إنها تقيم في رقم ١٤ شارع تيسو.»

«نعم، أعرف المكان.»

وأشار مارك إلى الخادم ودفع الحساب، وبعدما انتهت من شرب قدحها وقفت ساشا وتبعها مارك واضعاً نظارته من جديد ثم أمسك بذراعها ليعبرا معًا الطريق متجهين إلى حيث توجد الدراجة البخارية.

وقالت ساشا في لهجة انطوت على كثير من المرارة:

«اطمئن فلن أهرب منك، أعرف تماماً عدم جدوى أي محاولة مثله.»

فابتسم مارك وهو يقول:

«حسناً هذا يجعل المسألة اسهل بالنسبة إلي.»

وشعرت ساشا في هذه اللحظة أن مارك يمكنه دائماً التحكم في انفعالاته وأنه لن يكون من السهل عليها إثارته أو محاولة مضايقته .

وجلست ساشا مرة أخرى وراء مارك على الدراجة البخارية وقد أحاطته بذراعيها واتجها معا إلى حيث يوجد منزل عمتها في كان وهي تتساءل عما يمكن أن يحدث بعد ذلك...

٤ ـ لا العمة ولا اليخت!

وصلت ساشا و مارك إلى منزل العمة ماري وكان المصعد معطلاً وبينما كانا يصعدان السلم التفت إليها مارك قائلاً:

«تذكري، أنني أقيم في منزل السيدة كاسيل بمفردي، هل تفهمين؟»

ولما ردت ساشا بالايجاب أضاف مارك:

«وتذكري أيضاً، أنني اراقبك بدقة فلا تحاولي أن تفعلي أي شيء.»

فردت ساشا قائلة:

«أخبرتك من قبل أنها سيدة عجوز.»

«نعم، أعرف ذلك، وعلى فكرة هل تتحدثين معها بالفرنسية أم بالانكليزية؟»

«أتحدث معها باللغتين فهي تود أحياناً التحدث بالانكليزية وعندما تشعر بالتعب من ذلك تعود إلى التحدث بالفرنسية.»

وهز مارك رأسه ولم يقل شيئاً، وبدأت ساشا تسائل نفسها إذا أخطأت عندما فكرت في زيارة العمة ماري، لقد كانت الفكرة تبدو رائعة لها، ولكن ربما كان عليها أن تكون أكثر حذراً.

وتحسست حقيبتها وكانت قد وضعت فيها ورقة وقلماً، اذ كانت ترجو أن تتمكن من كتابة مذكرة صغيرة لوصيفة العمة ماري وتدعى هورتونس وهي تغادر المنزل كل مساء، بعد تأدية أعمالها، وإن لم تكن قد قررت بعد ماذا

تكتب في هذه المذكرة.

وكان باب شقة العمة ماري موارباً. واستقبلتها وهي تجلس في الشرفة ودعتها مرحبة إلى الدخول. وكانت العمة ماري قصيرة القامة سمينة إلى حد ما ولم تكن تستطيع المشي إلا بصعوبة، لذلك كانت تقضي معظم وقتها في الشرفة الواسعة تحيط بها أصص الزرع التي تحبها والتي تقول عنها أنها صديقاتها.

وكان شعرها معقوصاً إلى الخلف وظهر أثر الزمن واضحاً في عينيها فتحول لونها إلى الأزرق الباهت وكانت ترتدي دائماً ثوباً أسود يحلي ياقته بروش صغير.

وشعرت ساشا بغصة في حلقها وهي تتقدم لتحية السيدة العجوز وتنحني إلى جانب المقعد ذي العجلات الذي تجلس عليه. ثم قالت:

«أهلاً، ياعمتي ماري، إنه شيء جميل حقاً أن أراك مرة أخرى.»

«أهلاً بك ياصغيرتي، ولكن من هذا الشخص الذي حضر معك. هل هو صديق؟»

«نعم، أود أن أقدم لك...»

وترددت للحظة قبل أن تضيف:

«مارك إنه يقيم في منزل السيدة كاسيل.»

ثم قدمت السيدة العجوز إلى مارك الذي اقترب منها وقد أمسك في يده اليسرى بالقبعة والنظارة الشمسية ومد يده اليمنى لتحيتها، وانحنى على يد السيدة العجوز بطريقة لطيفة جعلت ساشا تشعر أنه لا يمكن أن يكون هو الشخص الذي عرفته من قبل.

ورفعت العمة ماري حاجبيها وهي تنظر إليه وأدركت ساشا على الفور أن السيدة العجوز أعجبها مارك الذي بدا فعلاً في مظهر جذاب ومهذب للغاية ونظرت العمة ماري إليه وهي تقول بالفرنسية:

«أهلاً... ثم أضافت بالانكليزية، ولكن من أي بلد أنت أيها الشاب. اجلس، اجلسي أنت أيضا يا ساشا فان عنقي يؤلمني وأنا أنظر إلى أعلى هكذا أفضل».

قالت السيدة العجوز ذلك بعدما أحضر مارك مقعدين وضعهما متجاورين أمامها، وشعرت ساشا في هذه اللحظة برغبة هستيرية في الضحك اذ حضر معها وهو لا شك يطمع في استجواب السيدة العجوز ومعرفة بعض التفصيلات منها، ولكن يبدو أن العكس تماماً يحدث فالعمة ماري هي التي بدأت في استجوابه، كما تعودت أن تفعل دائماً، اذ كانت على درجة كبيرة من حب الاستطلاع.

وسألت ساشا:

«أين هورتونس؟»

لكن السيدة العجوز لم تنتبه إليها بل كانت تتحدث مع مارك.

واستمعت ساشا في نوع من الاستياء والدهشة إلى الحديث بين مارك وعمتها التي أضاء وجهها وهي تسأل في دهشة:

«موسكو، إن حديثك هذا يعيد الذكريات الى نفسي.»

«هل ذهبت إلى موسكو؟»

«نعم، ألم تقل ساشا لك ذلك؟ أقمت في موسكو بضع سنوات عندما كنت طفلة صغيرة. كما اقمت في إحدى ضواحي لينينغراد، وكان والدي في ذلك الوقت يعمل مهندساً».

وأخذت ساشا تراقب مارك يستمع إلى السيدة العجوز فبدا لها وجهه، وقد فارقته الخشونة التي كانت تلازمه، كما فارقت شفتيه تلك الابتسامة المتكلفة التي لاتعني شيئاً، وكان يستمع إليها في هدوء تام ويجيب على اسئلتها ويوجه إليها بدوره أسئلته. وبدا لساشا في هذا الوقت كأنما قد نسي وجودها

تماماً وانتهزت فرصة صمت سادت بينهما لتسأل من جديد عن الوصيفة. وبدا كأنهما فوجئا بهذا السؤال اذ نظر إليها مارك والسيدة العجوز كأنهما ينظران إلى دخيل قطع عليهما حبل الحديث فجأة . وأجابت العمة ماري:

«هذه المرأة الغبية... ذهبت لحضور زفاف إحدى أقاربها، ولا بد أنها ستشعر بالأسف لأنها لم تتمكن من مقابلتك.»

ثم أضافت:

«أرجوك يا ساشا أحضري لي الصندوق الذي أحتفظ فيه بصوري ستجدينه هناك، في ذلك الركن.»

وأحضرت ساشا الصندوق فوضعته العمة ماري على ركبتيها وأخذت تفك الأشرطة الموضوعة حوله بأصابع مرتعشة فتقدم مارك لفتحه وهو يقول:

«أستأذنك ياسيدتي...»

ونظرت العمة ماري إلى ساشا وغمزت لها بركن عينها بينما كان مارك يحني رأسه لفك الأشرطة. وكانت ساشا تعرف تماماً مغزى هذه النظرة من السيدة العجوز فشعرت بالأسف وهي تود لو أن عمتها عرفت حقيقة مارك.

ثم خطرت لها فكرة فقامت من مقعدها بطريقة حاولت أن تبدو عفوية وأمسكت بحقيبتها في يدها وقالت:

«سأذهب لاعداد القهوة بينما يشاهد مارك هذه الصور، أتودين ذلك ياعمتي.»

«نعم، بالتأكيد، قالتها السيدة العجوز بالفرنسية ثم أضافت بالانكليزية:

«تعرفين مكان كل شيء، وستجدين أيضاً كعكة شوكولاته صنعتها هورتونس قبل مغادرتها المنزل.»

وهزت ساشا رأسها وهي تبتسم وتسرع في اتجاه المطبخ وقد وضعت حقيبتها تحت إبطها.

كان المطبخ في نهاية ممر ضيق يؤدي إلى غرفة النوم والحمام وغرفة الملابس، وشعرت ساشا وهي تدخل المطبخ بأن الحظ يخدمها فلم تكن تحلم بمثل هذه الفرصة. وضعت إبريق القهوة فوق الموقد وفتحت حقيبتها بسرعة لتبحث عن الورقة والقلم لكنها سمعت فجأة صوت مارك وقد وقف بباب المطبخ وهو يسألها:

«هل ألوم أنا بإعداد القهوة أو تقطيع الكعكة؟»

واضطربت ساشا فسقطت حقيبتها على الأرض وقبل أن تنحني لالتقاطها انحنى مارك والتقطها فسقط القلم منها فوق أرضية المطبخ.

فقال مارك وهو يقدم لها الحقيبة والقلم:

«آسف جداً... فقد كسر سن القلم».

وبدأت ساشا تستعيد هدوءها وهي تقول:

«كنت أظن أنك تشاهد صور العمة ماري».

«ليس بعد، فالسيدة بوليه مازالت تفتش عن الصوَر التي تريدني مشاهدتها، ولذلك فكّرت في الحضور إلى المطبخ لمساعدتك ولاتقلقي بشأن عمتك فقد وضعت المائدة الصغيرة إلى جوارها وهي سعيدة الآن تفتش في صندوق الصور».

ثم أضاف بلطف:

«هل كنت تعتقدين أنني سأتركك تغيبين عن نظري؟»

«لا أعرف تماماً. هل هذا يهم؟ في أي حال إذا كنت تريد مساعدتي فانك ستجد الصندوق الذي توضع فيه الكعكة فوق ذلك الرف أما الأطباق فستجدها داخل الدولاب».

وتظاهرت ساشا بعدم الاهتمام لوجود مارك معها في المطبخ وهي تتأمل موقفها لو دخلت إلى الحمام فانه سيكون من الصعب عليه أن يتبعها.

وبعدما انتهت من اعداد القهوة توجهت مع مارك إلى الشرفة حيث جلس ثلاثتهم يتناولون كعكة الشوكولاتة مع القهوة وقد جلست العمة ماري تتجاذب أطراف الحديث بلغة روسية ضعيفة مع مارك.

ووجدت ساشا نفسها تستمع إلى الحديث الذي كان خليطاً من الانكليزية والروسية. كان الحديث شيقاً فقد تمكنت من خلاله معرفة تفصيلات عن حياة مارك منذ كان صغيراً يذهب إلى المدرسة ويمشي في دروب موسكو التي يكسوها الجليد في الشتاء، وكانت ساشا تشعر أنه برغم أي شيء، فانه يقول الصدق وهو يستعيد ذكرياته مع السيدة العجوز التي كانت تريد معرفة كل شيء عنه.

وأخذت ساشا تراقبه وهو يتحدث... وكانت تجد نفسها وكأن شيئاً يجذبها إلى أن تستمر في النظر إليه مع أنها كانت تريد أن تركز أفكارها على ما ستكتبه في المذكرة التي تود أن تتركها لفورتونس.

كان مارك يجلس على مقعد اخشبي وقد انحنى إلى الأمام يشاهد الصوَر التي تعرضها عليه السيدة العجوز كانت أشعة الشمس تنعكس على وجهه فبدا في لون ذهبي. وكان يعلّق على كل صورة باللغة الفرنسية أحياناً وبالروسية أحيانا أخرى، ويبدو أن تعليقاته أعجبت السيدة العجوز التي بدت السعادة واضحة على وجهها وأخذت تضحك حتى دمعت عيناها وقالت:

«إنك لعوب أيها الشاب... ماكان يجب أن أسمح لك بالتحدث إليّ بهذه الطريقة ولكنني سعيدة بحديثك».

وانسحبت ساشا في سكون وتوجهت إلى الحمام وقد اختمرت الفكرة في ذهنها وقطعت الورقة التي كانت تحتفظ بها في حقيبتها إلى نصفين لأنها اعتقدت أن مارك سيفتش الحمام بعد خروجها منه وستدعه يجد أحد نصفي الورقة، أما

النصف الآخر فستضعه هورتونس في المطبخ داخل إبريق القهوة حيث سيكون أول شيء تراه في الصباح بعد عودتها.

وبدأت ساشا تكتب بعناية ووضوح على نصفي الورقة واستخدمت في ذلك قلم الحواجب وبعدما انتهت وضعت إحدى الورقتين تحت كوم المناشف في خزانة الحمام أما الأخرى فخبأتها في صدرها وعادت إلى غرفة الجلوس وقد تسارعت دقات قلبها.

وبعد فترة نظر مارك إلى ساعته ثم نظر إلى ساشا قائلاً:

«أعتقد أنه يجب أن نمضي الآن»

وظهر الضيق على وجه العمة ماري التي قالت:

«ولكن لايمكن أن تمضيا بدون أن تشربا معي قليلاً»

فأسرعت ساشا بموافقتها على ذلك... واستغرق الشراب بضع دقائق ثم سألت العمة ماري مارك فجأة:

«ألا تدخن أيها الشاب؟»

ورفع مارك حاجبيه في حيرة وهو يقول:

«نعم أدخن... ولكنني...»

فقاطعته السيدة العجوز قائلة:

«إذن، أعطني سيكارة أود أن أدخن وأنا أتناول الشراب»

وبدت الدهشة على وجه مارك فضحكت العمة ماري وهي تقول:

«هل تعتقد أنني سيدة عجوز مخرفة، إنك لم تعرف عني كل شيء بعد هل تحضر لرؤيتي مرة أخرى؟»

«يسعدني ذلك ياسيدتي»

قال مارك ذلك وهو يشعل لها سيكارة ثم نظر حوله يبحث عن منفضة

السكائر فسارعت ساشا بالوقوف وهي تقول:

«سأحضر لك واحدة من المطبخ»

وتوجهت إلى المطبخ وقد أتيحت لها الفرصة أخيراً لتنفيذ خطتها ثم عادت إلى الشرفة بعدما وضعت الورقة في إبريق القهوة وشعرت براحة حاولت جاهدة ألا تنعكس على وجهها وهي تنظر إلى مارك.

وتوجه مارك بعد ذلك إلى الحمام فانتهزت العمة ماري فرصة غيابه فانحنت وأمسكت بيد ساشا وجذبتها اليها وهي تقول:

«إن هذا الرجل لطيف للغاية... هل ستحضرينه معك مرة أخرى، جعلني بحديثه أعود أربعين سنة إلى الوراء»

فابتسمت ساشا وهي تقول:

«بالطبع ياعمتي... سأحاول ذلك»

«لا تدعيه يفلت منك، لن تجدي رجلاً مثله بسهولة»

وافقت ساشا على كلام عمتها وهي تشعر بأنها تكره نفسها بسبب ما تنوي فعله، لكن لم يكن أمامها ما تفعله غير ذلك والعمة ماري نفسها سيصيبها الذهول عندما تعرف حقيقة هذا الشاب الذي أعجبها كثيراً.

وأخيراً غادرا شقة العمة ماري وعندما وصلا إلى أسفل السلم وضع مارك يده فوق جبينه وهمهم شيئاً بالروسية ثم قال:

«نسيت علبة سكائري ولاعتي عند عمتك على المائدة، انتظري هنا سأعود فوراً»

وخرجت ساشا إلى الطريق ووقفت تحت شرفة العمة ماري تلوّح لها، ولم تفكر في الهرب فلن يمكنها أن تبعد كثيراً لو حاولت ذلك الآن وسيتمكن مارك من اللحاق بها، وصاحت تقول لعمتها:

«تي مارك سكائره وولاعته.»

«حسناً... إنها هنا.»

وأخذت ساشا تفكر، هل عاد مارك إلى شقة عمتها ليفتش الحمام، هل من المعقول أنه لم يجد الورقة التي تركتها في الحمام.

ونظرت ساشا إلى أعلى من جديد فرأت عمتها وهي تتحدث إلى مارك الذي سمعت صوته يرد عليها ثم رأته يدخل إلى الشرفة ويأخذ علبة سكائره وولاعته ثم انحنى وقبل السيدة العجوز في وجنتها ولم تدر ساشا لماذا شعرت بهذه الغصة في حلقها وهي ترى مارك يقبل عمتها.

ووقفت ساشا في انتظار مارك أمام المنزل وكانت أصوات الأطفال الذين يلعبون في مكان قريب تصل إليها كما تراءت إلى أذنها من مكان بعيد أصوات السيارات وهي تتزاحم، ثم سمعت صوت عمتها تودع مارك قائلة:

«أرجو أن تعود إلى زيارتي قريباً.»

وعاد مارك ووقف إلى جانب ساشا وأخذ كلاهما يلوحان لعمتها التي جلست في الشرفة تراقبهما وهما يركبان الدراجة البخارية.

كانت ساشا تعرف أن عمتها استمتعت تماماً بزيارتها لها وتولاها في هذه اللحظة شعور بعدم الارتياح وهي تفكر في أمر الورقة التي تركتها لوصيفة عمتها وماذا يمكن أن يحدث.

التزم مارك الصمت وهما في طريق العودة، وتوقفا في طريقهما لشراء بعض الطعام. وعندما وصلا إلى بداية الممر الحجري الذي يوصل إلى منزل السيدة كاسيل تشبثت ساشا بمارك استعداداً لمتاعب هذا الممر الوعر.

وفجأة توقف مارك في منتصف الممر وأدركت ساشا السبب في ذلك، أو ربما ظنت أنها تعرف السبب ولكنها كانت مخطئة إلى حد ما.

وطلب منها مارك النزول عن الدراجة فامتثلت لأمره وهي تعد نفسها للتظاهر بالأسف والدهشة عندما يخبرها بعثوره على الورقة في الحمام وسألها فورا:

«هل تعرفين سبب توقفي هنا؟»

فقالت وهي تتظاهر بالبراءة:

«هل حدث خلل ما في الدراجة؟»

«أحياناً أشعر برغبة شديدة في أن أصفعك على وجهك، طلبت منك أن تكوني صريحة في تصرفاتك... فماذا حدث.»

قال مارك ذلك وهو يخرج من جيبه ورقة مطوية ثم فتحها وأخذ يقرأ:

«هورتونس توجهي إلى مركز الشرطة وأبلغيهم أنني سجينة في أيدي ثلاثة رجال روس في منزل السيدة كاسيل... لاتبلغي عمتي ماري بذلك إن الأمر عاجل... صدقيني.»

وعضت ساشا على شفتيها وأحنت رأسها وهي تتظاهر بالأسف وخيبة الأمل وعندما رفعت رأسها من جديد لتنظر إلى مارك كانت عيناها تمتلئان بالدموع... وقالت وهي تهز رأسها من جانب لآخر بينما تتظاهر بالخوف الشديد:

«أرجوك لاتحاول ضربي...»

لم يكن الغضب الشديد يبدو على مارك الذي أخذ يقلد صوتها وهي تقول له أرجوك لا تضربني ثم قال:

«إذا كررت مثل هذا التصرف فسوف أضطر إلى ذلك... صدقيني...»

ووقفت ساشا تحملق فيه وهي تنتظر فرأته يخرج ولاعته من جيبه ثم أشعلها وأحرق الورقة التي كان يحتفظ بها بين أصابعه.

ثم لدهشتها الشديدة فوجئت به يخرج الورقة الثانية التي تركتها في المطبخ

وهو ينظر إلى وجهها. ولم تكن ساشا في حاجة هذه المرة إلى التظاهر بالجزع أو خيبة الأمل فقد شعرت في هذه اللحظة بأن الدنيا تدور من حولها وأن الأرض تميل تحت قدميها وشعرت أنها على وشك الاغماء. فاستندت إلى مقعد الدراجة لتمنع نفسها من السقوط.

وسألت وهي لاتكاد تقوى على النطق:

«ولكن.. كيف...؟»

فقال وهو يحرق الورقة:

«هل أبدو لك غبياً الى هذه الدرجة؟»

وأخذت ساشا تنظر في فزع شديد إلى الورقة وهي تحترق ثم سمعت مارك يقول لها:

«والآن.. اصعدي خلفي»

فنظرت إليه في يأس وهي تقول:

«لا لن أفعل...»

فصاح مارك مزمجراً:

«اصعدي؛ نفد صبري معك. أحذرك مما قد يحدث لو أنني فقدت أعصابي.»

فهزت ساشا رأسها وهي تقول:

«إنني لا أهتم بذلك...»

وكانت ساشا صادقة انها شعرت في هذه اللحظة بأنها لم تعد تهتم بشيء بعدما امتلأت نفسها باليأس.

ولم تجد ساشا مكاناً تتجه إليه سوى المنزل فكيف يمكنها الهرب و مارك معه الدراجة. سارت في اتجاه المنزل ولكن مارك جذبها بقسوة من الخلف لتصبح في مواجهته وهو يأمرها بركوب الدراجة.

والتقت نظراتهما فقالت ساشا:

«ليت العمة ماري تراك الآن.. لقد أعجبت بك... لا لن أركب الدراجة وسأسير على قدمي إلى المنزل.»

وازداد الموقف توتراً وهما يقفان في مكانهما في صمت تام... ولم تعد ساشا تخشى مواجهة نظراته كأن الأمر لم يعد يعنيها وأخيراً قال مارك:

«أنت تعرفين جيداً أنه يمكنني إجبارك على ركوب الدراجة لو أردت ذلك.»

«هل حقاً تستطيع ذلك؟ إذن لماذا لا تفعل؟»

ونظرت ساشا إليه في تحد قرأت في عينيه نظرة جعلتها تضطرب ثم قال في صوت هادئ، جاد:

«إنني معجب بشجاعتك.»

«انا لا أخاف منك.»

وكانت ساشا في هذه اللحظة تشعر فعلاً أنها تخطت مرحلة الخوف بعد كل ما تعرضت له من أحداث... فقال مارك:

«لا أنوي أن أدفعك إلى الخوف مني...»

ثم علت شفتيه ابتسامة خفيفة وهو يضيف:

«حسناً... سيري إلى المنزل كما تشائين وسوف أتبعك.»

وبدأت ساشا في السير متجهة إلى المنزل وهي تشعر بالعرق يملأ وجهها وعنقها وكل جزء في جسمها وشعرت بجلدها يحترق تحت أشعة الشمس وتمنت في هذه اللحظة أن تجد نفسها في مطبخ المنزل الهادئ، تتناول شراباً مثلجاً.

وسمعت ساشا صوت الدراجة البخارية خلفها لكنها لم تحاول الالتفات إلى الخلف وشعرت في هذه اللحظة أنها انتصرت على مارك ولكن ما الفائدة.

وبدا على مارك أنه يحاول الانتظار حتى تبتعد قليلاً ليلحق بها في

الدراجة، فتباطأت في سيرها، ربما لشدة الحرارة، وربما لأنها كانت تريد مضايقته.

كان الوقت أصيلاً وهو موعد تناول الشاي وتساءلت ساشا في سرّها ترى ماذا أعدوا من طعام وكانت تشعر بجوع شديد، وتمنت لو أنها لم ترفض ركوب الدراجة وراء مارك لتصل إلى المنزل سريعاً.

وتوقفت ساشا اذ شعرت أن قطعة من الحجر دخلت في حذائها المفتوح وانحنت لاخراجها. وفي هذه اللحظة بدأ تور يتحرك بدراجته البخارية وداخلها شعور بأنه ربما دهمها بالدراجة فأسرعت خطاها بطريقة لاشعورية والتفتت إلى الخلف للوراء.

ولم تنتبه ساشا إلى الحفر في الممر فوجدت نفسها فجأة وهي تهوي إلى الأرض وقد سقطت حقيبتها لتستقر على الحشائش بعيداً عنها.

وشعرت بالدوار ولم تدر إلا ويد مارك تمتد إليها وترفعها على قدميها من جديد، ونظرت في استياء شديد إلى ثوبها وقد لطخته الأقذار وفجأة شعرت بأنها لم تعد تحتمل أكثر من ذلك فانفجرت باكية، جذبها مارك إليه وأحاطها بذراعيه فأصبح وجهها ملاصقاً لصدره.

وشعرت ساشا لدهشتها الشّديدة براحة كبيرة وهي تضع وجهها على صدر مارك وتستمع إلى دقات قلبه، وبعد أن هدأت قليلاً سمعت مارك يسألها:

«هل أصبت؟»

فهزت رأسها بالنفي وهي تقول:

«لا، لا أعتقد ذلك، ولكن ثوبي...»

«لا يهم، يمكنك أن تغسليه.»

ومد مارك يده إلى شعرها وأخذ يربت على رأسها وعنقها وشعرت ساشا براحة، ورغبة في النوم، واكتشفت لفزعها الشديد أنها تستمتع بوجودها بين

ذراعي مارك وهو يربت على رأسها في حنان، وأنها لاترغب في الابتعاد عنه، وحاولت أن تقنع نفسها بأنها حتى لو أرادت الابتعاد عنه فلن تتمكن من ذلك اذ كان يمسك بها بقوة.

وسألها مارك:

«هل تشعرين بتحسن الآن؟»

فأجابت بالنفي، وفي صوت هادئ، رقيق قال:

«لماذا؟»

«لأن ساقي تؤلمني الآن... وأنا... لم أسمح لك بأن تعانقني!»

«لاتغضبي... لن تعودي إلى البكاء من جديد! لم أفعل ذلك إلا لتهدئتك لأنك كنت تبكين... وأنت تعرفين أننا نقبل الأطفال دائماً ليكفوا عن البكاء إذا سقطوا أو أصابهم أذى.»

وشعرت ساشا بالغضب فجأة فقد ظنت أنه يسخر منها من جديد فدفعته بكل قوتها بعيداً عنها، وظهر الغضب والاستياء على مارك وهو يسألها في دهشة:

«لماذا فعلت ذلك؟»

فأجابت وهي تحك أذنها:

«أنت تعرف لماذا فعلت ذلك...إنكم معشر الرجال كلكم سواء...»

«لا... لسنا كلنا سواء.»

ثم نظر مارك إلى ساقها وظهر الاهتمام على وجهه فانحنى قليلاً وهو يقول:

«ارفعي طرف ردائك قليلاً.»

«سوف تجرحه...»

ولم تتم ساشا حديثها اذ ضحك مارك وهو ينحني سريعاً ليرفع طرف ردائها فوق ركبتها فاندفعت تضربه بيديها في ثورة دفعته

إلى الابتعاد عنها وهو يضحك ويقول:

«أرجوك... انظري إلى ساقك... الدماء تلطخ ثوبك... صدقيني. لم أقصد شيئاً وهذا هو كل ما في الأمر».

ونظرت ساشا إلى أسفل فرأت الدماء تلطخ ثوبها بالفعل وقد خدشت ركبتها نتيجة سقوطها في الطريق... وشعرت ساشا بالخجل لتصرفها مع مارك فقالت فيما يشبه الاعتذار:

«أوه... كان بوسعك أن تقول ذلك منذ البداية..».

فرفع مارك يديه في يأس وهو يقول:

«حاولت ذلك... في أي حال... تعالي الآن... اركبي فوق الدراجة لنعود إلى المنزل حيث يمكنني أن أضمد لك جرح ركبتك».

وأمسك تور بيدها واتجه إلى حيث تقف الدراجة وانحنى في الطريق يلتقط حقيبتها.

وبعد دقيقة وصلا إلى الكاراج الذي يقع خلف المنزل. ودخلت ساشا إلى المنزل وهي ترفع طرف ثوبها في حذر وبعد أن دخلا قال مارك:

«اجلسي في المطبخ، فإنني سأضمد ركبتك أولاً ثم يمكنك بعد ذلك أن تغيري ثوبك».

جلست ساشا في سكون وقد شعرت أنها تعبت من كثرة تحديها وعنادها الذي لم يجر عليها سوى المتاعب... وربما يكون من الأسهل الآن أن تفعل كل ما يطلبه منها.

وأحضر مارك صندوق الإسعافات الأولية وانحنى أمامها فقالت له:

«لا داعي لذلك، أستطيع أن أقوم أنا بهذه العملية».

تنظر مارك إليها بدون أن يفتح فمه بكلمة ثم أخذ يطهر ساقها بقطعة من

الشاش... وأخذت تراقبه وهو يقوم بهذه العملية وهي تحاول أن تكتم صيحات الألم لكن صيحة أفلتت منها فنظر مارك إليها مبتسماً، فقالت له وكأنها تتهمه:

«أنت سعيد الآن... أليس كذلك؟ إن وجهك ينطق بذلك».

«لا... ليس هذا صحيحاً، ولكن، كنت أنت السبب في كل ما أصابك بإصرارك على المشي».

«كنت أنظر إلى الخلف عندما سقطت. اعتقدت أنك ربما تحاول أن تدهسني بالدراجة».

وتوقف مارك فجأة عن تضميد ساقها ونظر إليها وقد تغيرت تعبيرات وجهه وبدا عليه الغضب لكنه تمالك نفسه سريعاً وهو يسألها في صوت هادئ:

«هل اعتقدت ذلك حقا؟ هل اعتقدت أنني أفعل ذلك حقاً؟»

فشعرت ساشا بالأسف لأنها أغضبته بكلامها وبدا لها كأنه يوشك على الانفجار فابتلعت لعابها وهي تقول جاهدة:

«لا... ربما كان ذلك... للحظة فقط..لا... لم أعتقد ذلك في الحقيقة، إنني آسفة».

«يجب أن تكوني كذلك».

كان مارك مايزال غاضباً ولم تكن ساشا تدري لماذا أغضبته كلماتها إلى هذه الدرجة والتزم الصمت وهو يضمد ساقها ولم تحاول هي من ناحيتها أن تقول شيئاً. وأخذ قلبها يخفق في عنف وهي تنظر إليه وتتعجب من التغيير الذي طرأ على شخصيته، فإنه يبدو لها الآن شخصاً مختلفاً عن الشخص الذي كان معها عند زيارتها للعمة ماري.

وبعد أن انتهى من تضميد جراحها وقفت ساشا قائلة:

«شكراً لك... سأذهب الآن لأبدل ثيابي».

ولم يلتفت إليها مارك أو يرد عليها بل اتجه إلى حوض المطبخ ليغسل يديه فترددت ساشا لحظة ثم خرجت واتجهت إلى الغرفة في الطابق العلوي حيث غيرت ثيابها.

وبعدما غسلت ثوبها الملطخ بالدماء نزلت إلى البهو وكانت ترتدي ثوباً رقيقاً أزرق اللون. ووقفت تفكر وهي لاتدري ماذا تفعل لأنها لم تكن ترغب في الدخول إلى المطبخ مادام مارك موجودا فيه. كانت تشعر بالجوع والعطش، لكن كبرياءها تمنعها من الدخول إلى المطبخ لتطلب الطعام أو الشراب من مارك.

ولما لم تجد شيئاً تفعله أخذت تنظر حولها فلاحظت اتساخ البهو وكانت تعرف أين تجد المكنسة والجاروف فاتجهت إلى الخزانة الموجودة في البهو وأخذت تنظف المكان وهي تزيح المقاعد من مكانها. واستغرقت ساشا وقتاً طويلاً في عملها وقاربت على الانتهاء منه والتجهت ببصرها إلى باب المطبخ لترى مارك يقف وهو يراقبها ثم قال:

«انتهيت من اعداد الشاي... ألا تشعرين بالعطش؟»

فترددت ساشا قليلاً ولكنّ مارك أضاف:

«إذن تعالي إلى المطبخ لتأخذي قدحاً من الشاي.»

ولم ينتظر مارك ردها بل اتجه إلى داخل المطبخ فأسندت ساشا المكنسة إلى الحائط وتبعته. ثم جلست في وداعة إلى المائدة وهي لاتقوى على الكلام، ولزم مارك الصمت وأخيراً لم تتمكن ساشا من تحمل هذا الموقف المتوتر فانفجرت قائلة:

«كنت أحاول فقط تنظيف المكان... كان متسخاً للغاية.»

أشعل مارك سيكارة ثم وضع الولاعة فوق المائدة وهو يقول:

«هكذا...»

نظرت إليه وهي تقول:

«كنت أريد أن أقول لك...»

«والآن ...قلت ماتريدين...»

قال مارك ذلك في برود ثم اتجه إلى النافذة ووقف بجوارها وهو يدير ظهره لساشا وأمسك في إحدى يديه بقدح الشاي وبالأخرى سيكارة وبدا لها في وقفته هذه وقد انتصب ظهره ورفع رأسه عالياً كالجندي.

وأدركت ساشا وهي تنظر إليه أنها لم تتمكن أبداً من معرفة هذا الرجل...ولكن لماذا تريد أن تعرفه.

كان الجو حاراً ومشبعاً بالرطوبة وشعرت ساشا بأنها فقدت شهيتها للطعام فاكتفت بقطعة من الخبز وبعض الجبن، ولم يبد على مارك أي اهتمام بذلك وهو يجلس في مواجهتها على المائدة يتناول وجبة دسمة من اللحم المحفوظ والبيض والجبن.

وأخذت ساشا تفكر في موقفها وهي تتساءل عن الرجلين الآخرين وماذا يفعلان الآن وتذكرت أنها سمعت بعض الأصوات بينما كانت تقوم بغسل ثوبها في الحمام، وتصورت في ذلك الوقت أن هناك أكثر من شخصين.

ونظرت إلى مارك فبدا كأنه يشعر بوطأة الحرارة مثلها، وفتح قميصه... وبعد أن انتهى من تناول طعامه رفعت ساشا الأطباق وتوجهت بها إلى الغسلة لتغسلها اذ كانت تريد عمل أي شيء.

وتمنت ساشا في هذه اللحظة النزول إلى البحر والسباحة ووجدت نفسها رغماً عنها تبتسم وهي تفكر فيما سيقول مارك لو أنها طلبت منه ذلك، إنها لم تسبح في البحر منذ عام وكم تتمنى ذلك الآن.

ووجدت ساشا نفسها تندفع قائلة:

«أريد أن أذهب للسباحة...»

«حقا تريدين ذلك؟»

قالتها مارك وهو يجلس في استرخاء وقد استند بقدميه إلى المائدة ورجع بمقعده إلى الخلف وهو ينفث دخان سيجارته.

ونظرت ساشا إليه وهي تعجب من نفسها كيف بدا لها شخصاً مهذباً وهو يجلس مع العمة ماري يتبادلان الحديث وتملكها شعور بالاشمئزاز وهي تفكر أنها استمتعت فعلا بوجودها بين ذراعي مارك بعد سقوطها على الممر الحجري. واضطربت وهي تسترجع ملمس يده وهو يربت في حنان على شعرها وعنقها.

ثم قالت في صوت بدا فيه التصميم:

«نعم... أريد أن أذهب للسباحة... فإن الجو حار جداً ولا أجد شيئاً أفعله سوى ذلك.... ولا أعتقد أنك ستسمح لي بالذهاب إلى كان لأقضي سهرتي في أي مكان.»

«كم أنت ذكية حقاً...»

ونظرت ساشا إلى مارك - الذي كان يجلس في هدوء تام وتمنت في هذه اللحظة لو أمكنها أن تدفع المقعدين تحته ليقع على الأرض...

كان مارك مازال غاضباً ولم تكن ساشا تدري السبب في ذلك. ولم تكن تجرؤ على سؤاله.

ثم التفت مارك إليها فجأة وهو يقول:

«هل تعتقدين أنك تستحقين ذلك.»

فردت ساشا في تحد:

«لا.... ولكنني أعرف أنه لولا وجودك هنا وإفسادك عطلتي لأمكنني أن أذهب

للسباحة في أي وقت بدون أن أطلب الأذن بذلك.»

فقال مارك وهو يضغط على أسنانه وينظر إلى ساعة يده:

«حسناً... فلنذهب للسباحة.»

لم تصدق ساشا أذنيها، لكنها لم تقل شيئاً بل أخذت تنظر إليه في صمت وهو ينزل قدميه عن المائدة ويعتدل واقفاً وهو يقول:

«سأحضر الدراجة أم هل تفضلين المشي؟»

وكان شاطيء البحر يبعد أكثر من ميل عن المنزل وترددت ساشا وهي تفكر هل من الأفضل لها أن تركب وراءه على الدراجة وتحيطه بذراعيها أم تمشي معه إلى الشاطيء، وهو على هذه الحالة من الصمت التام وأخيراً قالت:

«دعنا نمشي... أرجوك.»

«كما تشائين.»

ثم أضاف مارك وقد وجدها مازالت في مكانها لم تتحرك:

«هل تسبحين وأنت عارية؟»

فوجئت ساشا بهذا السؤال وشعرت بالدماء تندفع إلى وجهها وهي ترد بالنفي فقال مارك:

«إذن لماذا... لاتذهبين لاحضار ثوب الاستحمام؟»

فاندفعت ساشا خارج المطبخ وهي تشعر بالخجل... وتبعها مارك بعد لحظة ثم سمعته يدخل إلى الغرفة الأخرى ويقول شيئا للرجال الموجودين فيها.

وفتحت ساشا حقيبتها بسرعة وأخرجت ثوب الاستحمام الأبيض ومشلحتها ثم أغلقت باب الغرفة بالمفتاح وبدلت ملابسها ثم نزلت بسرعة بعد ذلك إلى البهو.

ووجدت ساشا مارك في انتظارها عند الباب الأمامي وقد ارتسمت على

وجهه أمارات عدم الاهتمام... فشعرت ساشا بالحزن لذلك لأنه برغم أي شيء كان من الممكن أن تكون صحبته لطيفة.

وبينما هما في الطريق سألته ساشا:

«ألن تسبح معي؟»

فرد باقتضاب بالنفي فسألته من جديد:

«ولماذا لا تسبح؟»

«لانني لا أريد ذلك.»

فقالت ساشا وقد ضايقها موقفه:

«... وهل تستمر على صمتك هذا طوال الطريق.»

«أعتقد أن هذا أفضل...فإننا نتشاجر كل مرة نتحدث فيها معاً.»

ثم هز كتفيه وهو يسرع الخطى لينزل السلم الحجري مما اضطر ساشا إلى الاسراع للحاق به...ثم أضاف:

«ولذلك، أوثر التزام الصمت حتى لانتشاجر من جديد، وأعتقد أن ذلك سيجعلك سعيدة.»

كانت ساشا تشعر بتعاسة حقيقية في هذه اللحظة وكانت تود لو تقول له ذلك ولكنها قالت في سخرية باردة:

«حسناً... إنني أشكرك لأنك أخبرتني بذلك.»

ولم يرد مارك وسارا في صمت وهي تفكر في هذا الوضع الشاذ والموقف الغريب بينما تسير في أجمل بقعة في الريف الفرنسي إلى جانب مارك وأخذت تفكر ماذا يكون الوضع الآن لو أنها تسير في هذا المكان متجهة إلى أحد الشواطئ، الهادئة مع الرجل المناسب... ولكن من هو الرجل المناسب؟ هل هو نيجل الرجل الذي جاءت إلى فرنسا في محاولة لنسيانه. من المؤكد إنها لا ترغب

في هذه اللحظة بالبقاء أسيرة في أيدي الرجال الروس الثلاثة إذا كان ذلك سيساعدها على نسيان نيجل... ووجدت ساشا نفسها تفكر في نيجل... ترى ماذا يفعل الآن؟ إنه يعرف أنها تقضي عطلتها في هذا المنزل ولابد أنه يعتقد الآن أنها تقضي أياماً سعيدة مع أصدقائها وتقضي أمسياتها في الحفلات. إنه لايعرف للأسف أنها أسيرة يقوم بحراستها ليلاً ونهاراً ذلك الدب الروسي الذي يمشي إلى جانبها.

ونظرت ساشا إلى مارك بطرف عينها. إنها لم تقابل في حياتها من قبل رجلاً بمثل هذه الخشونة والقوة. وفكرت أنه ربما لايعرف السباحة ولكنها كانت سمكة كادت تفلت منها وهي لاتكاد تصدق أن مثل هذا الرجل الحائز على الحزام الذهبي في الكاراتيه لايعرف السباحة. إذن لماذا يرفض في مثل هذا المساء الحار وقد اكتمل القمر منيراً المكان عاكساً ضوءه على البحر الذي بدا كبساط مخمل... لكنها لن تسأله بل لن تجبره على ذلك ولو أنها تود أن تعرف السبب.

كان الشاطئ، صغيراً في تلك المنطقة محاطاً بالصخور لدرجة أنه من الصعب على أي شخص لا يعرف المنطقة أن يجده. ووصلا إلى الشاطئ، أخيراً بعد أن عبرا الطريق الرئيسي، وكان مارك يمسك بذراعها وهما يعبران الطريق لكنه تركها بمجرد الوصول إلى المرحلة الأخيرة.

وأخيراً قال مارك وهو يشير إلى إحدى الصخور المنبسطة:

«سأجلس هنا في انتظارك...يمكنك أن تذهب للاستحمام...ولكن لاتغيبي عن نظري. هل تفهمين؟»

«أعرف ذلك جيداً. في أي حال إن طريقتك في توضيح كلامك تجعلني أفهمك حتى ولو كنت تتحدث بلغة أخرى.»

ولم يرد مارك عليها بل أسند ظهره إلى إحدى الصخور وبدأ يبحث في

جيبه عن علبة سكائره.

وخلعت ساشا ثيابها وهي تركض إلى البحر وبدت رشيقة وجميلة في ثوب استحمامها الأبيض الذي بدا لامعاً في ضوء القمر. ولم تنظر ساشا إلى الخلف لترى مارك وقد أخذ بمنظرها الجذاب فراح ينظر إليها بدون أن يتمكن من رفع عينيه عنها.

ونزلت ساشا إلى البحر وشعرت بالانتعاش وماء البحر يغطي قدميها ثم ساقيها ثم يصل إلى خصرها. ثم أخذت نفساً عميقاً وهي تقذف بنفسها في الماء استلقت على ظهرها وهي تنظر إلى السماء التي امتلأت بالنجوم.

أخذت ساشا تسبح بعطء ثم توقفت وهي تنظر إلى يخت كان يرسو على بعد حوالي نصف ميل وكان الضوء ينبعث منه وصوت الموسيقى يصل إليها بوضوح فشعرت بالحزن اذ كانت وحيدة بينما كان الجميع يستمتعون بأوقاتهم يشربون ويرحون.

ونظرت ساشا إلى الخلف لترى إذا كان مارك قد رأى اليخت، ولكنها لم تتمكن من رؤيته لأنه كان مختبئاً خلف إحدى الصخور وطرأت على ذهنها في هذه اللحظة فكرة، ولكن هل يمكنها أن تسبح إلى مكان اليخت ووقفت في مكانها تفكر فلا يمكن تقدير المسافة تماماً بينها وبين اليخت، وربما كانت أكثر من نصف ميل وهي لايمكنها السباحة لأكثر من هذه المسافة، ونظرت ساشا إلى اليخت من جديد وكان الاغراء شديداً فأخذت نفساً عميقاً وبدأت تسبح في اتجاه اليخت الذي بدا لها المرفأ الوحيد وسط العاصفة التي تمر بها.

وسمعت صوتاً ضعيفاً يناديها من الشاطئ، فنظرت إلى الخلف فرأت مارك يأمرها بالعودة فأشارت اليه بذراعها كأنها تنوي ذلك بالفعل ولكنها غطست تحت الماء وأخذت تسبح إلى أن أحست أن رئتيها ستنفجران.

لكنها كانت قد بعدت عنه مسافة كبيرة ولم تعد تهتم به الآن، فإن مارك لايعرف السباحة.

وجاء صوت الموسيقى عالياً هذه المرة وبدأت تشعر بالتعب لكن صوت الموسيقى وشعورها بأنها أوشكت على الوصول أمدها بالقوة فبدأت تسبح من جديد. ثم فكرت في مارك وماذا يفعل الآن والتفتت لكنها لم تتمكن من رؤيته.

وشعرت ساشا بوخزة في عنقها فتوقفت عن السباحة قليلا لتستريح...وفجأة لاحظت أن شيئاً يتحرك في البحر متجها إليها من ناحية الشاطئ، ثم تبينت رأس شخص يسبح أدركت على الفور أنه مارك!

٥ ـ يجذب الطيور...

أسرعت ساشا في السباحة وقد تملكها الفزع نحو اليخت وأخذت تضرب الماء بذراعيها بكل قوتها وشعرت قلبها يكاد يتوقف عن الحركة، ولكن اليخت بدا قريباً جداً منها الآن حتى أنها استطاعت رؤية شاب وفتاة يتعانقان فوق سطحه... واستمرت في السباحة... ثم فجأة شعرت بشيء يقبض على ذراعيها ورغم فزعها لم تتمكن من الصراخ اذ كانت مرهقة للغاية... ثم سمعت صوت مارك يهمس في أذنها ووضع يده حول عنقها:

«إذا صدر منك أي صوت سأضربك حتى أفقدك وعيك... هل تسمعيني؟»

وأدركت ساشا في هذه اللحظة أن مارك يعني تماماً ما يقول وفجأة وجدت نفسها تهوي تحت الماء وهي تحاول جاهدة البقاء فوق السطح فانتشلها مارك بقوة وهو يقول:

«استلقي على ظهرك».

قالت ساشا وهي تحاول بدون جدوى دفعه بعيداً عنها:

«لا... أريد التوجه إلى هناك...»

«كفاك مقاومة... استلقي على ظهرك وسأسحبك إلى الشاطئ».

كانت ساشا تعرف بالفعل أنه لا جدوى من المقاومة، بل كانت تعرف ذلك طوال الوقت، لكن الرغبة في الهرب كانت أقوى من أي شيء، وها هي الآن تحاول

وتفشل من جديد... وهذه المرة لم تعد لديها القوة لمقاومته أو حتى لمجادلته، فاستلقت على ظهرها وشعرت بيديه تحت ظهرها. واستلقت بدون حراك بينما أخذ مارك يضرب الماء بقدميه عائداً بها إلى الشاطئ.

ثم شعرت بقوتها تعود إليها بعدما استردت أنفاسها فحاولت التخلص منه والسباحة بمفردها وكان اليخت قد أصبح بعيداً عنها الآن فقالت وهي تدفع يديه عنها:

«دعني أسبح بمفردي... أبعد عني».

وتركها مارك وأخذ يسبح بجانبها... كانت ساشا تشعر بإرهاق شديد، وكانت قدماها وذراعاها تؤلمها بشدة وهي تحاول السباحة إلى الشاطئ، ولكنها حاولت إخفاء ذلك عن مارك وظلا يسبحان حتى اقتربا من الشاطئ، وشعرت ساشا بالأرض الصلبة تحت قدميها فوقفت وهي تترنح ثم سقطت لتقف من جديد ثم جرت نفسها جراً لتسقط فوق رمال الشاطئ، وتستلقي على ظهرها في انهاك تام.

وفجأة شعرت بمارك يمسك بها بقوة. وشعرت أنها تكاد تختنق فصاحت تقول:

«دعني...»

لكنها لم تستطع أن تتفوه بأكثر من ذلك ورقدت لا حول لها ولا قوة. وتذكرت في هذه اللحظة ما حدث في غرفة النوم فارتجفت وحاولت دفعه بعيداً عنها وهي تقول:

«لا... يا مارك... كفى...»

ولكنه بدلاً من أن يتوقف أمسك بشعرها في يده ليمنعها من الحركة. ورغماً عنها وبالرغم من كل شيء، شعرت ساشا بالدفء في جسمها ووجدت نفسها

تستجيب لعاطفته الجامحة وتغيب معه في عناق طويل قطعه مارك ليلتقط أنفاسه. وأفاقت ساشا لنفسها وفتحت عينيها وتنفست بعمق. كانت تشعر بإعياء شديد لكنها رفعت يدها إلى وجهها لتغطي فمها عندما حاول من جديد وقالت:

«أرجوك... يا مارك دعني فإنك تؤلمني».

تركها مارك ووقف وهو يجذبها لتقف أمامه وأخذ صدره يهبط ويعلو وهو يحاول إلتقاط أنفاسه وجاء صوته خشناً وقوياً وهو يقول:

«أود أن أضربك...»

فقالت ساشا في صوت مرتعش وهي تطلق يدها من يده:

«ولكنك لم تكن تفعل ذلك الآن...»

«لا... »

ثم مر بأصابعه خلال شعره المبتل وهو يضيف:

«اذهبي... والبسي الآن...»

«ولكنني ما زلت مبتلة...»

فجذبها مارك بعنف وذهب بها إلى المكان حيث تركت ملابسها والتقط المنشفة ووضعها فوقها وهو يقول:

«لا تقولي شيئاً... ولا تحاولي أن تجادليني الآن... جففي نفسك فقط لقد فعلت ما فيه الكفاية الليلة. صدقيني، إنك ستندمين إذا حاولت إثارتي الآن».

ونظرت ساشا إليه. كان يقف في مواجهتها كالمارد في قمة ثورته وكان يبدو قادراً أن يفعل أي شيء، وقد بدا لها في هذه اللحظة وقد تخلّى عن كل مظاهر المدنية وبدا رجلاً بدائياً تحركه غرائزه.

وشعرت ساشا بالخوف وبدا مارك قلقاً وهو يغدو ويروح كأنه على وشك أن يفعل أي شيء.

وبدأت ساشا تستعيد أنفاسها وهي تجفف شعرها ثم أنحنت لتجفف ساقيها وقدميها وكادت تسقط وهي تفعل ذلك. ثم وضعت المنشفة وانحنت تلتقط بنطلونها ولبسته فوق رداء استحمامها المبتل. وكانت البرودة قد بدأت تسري في الجو فلاحظ مارك أنها تعطس وترتعش فالتفت إليها قائلاً:

«اخلعي رداء الاستحمام المبتل. فالطريق أمامنا طويل».

«ولكن... ليس أثناء وقوفك معي هنا».

«سأدير وجهي... افعلي كما أقول».

فاتجهت ساشا إلى بعض الصخور واختبأت وراءها وخلعت رداء الاستحمام بسرعة ثم لبست ثيابها وخرجت من وراء الصخور وهي تقول:

«إنني على استعداد».

وكان مارك يقف وظهره إليها ينظر إلى البحر ثم التفت إليها قائلاً:

«إذن هيا بنا نعود».

وسألته ساشا:

«ألن تجفف نفسك».

لم تكن ساشا تهتم حقاً بذلك فكل ما كانت تشعر به في هذه اللحظة هو الأسف لفشلها في الوصول إلى اليخت والفزع لما حدث بينها وبين مارك على الشاطئ.. فعل مارك ما فعل كعقاب لها على محاولتها الهرب إنها تعرف ذلك ولم يكن عناقه العنيف لها إلا محاولة للتنفيس عن الغضب والعنف والرغبة في إيذائها... أما بالنسبة اليها فإنها لا يمكنها أبداً أن تتجاهل الحقيقة وهي أن عناق مارك أحيا بداخلها مشاعر كانت تعتقد أنها انتهت إلى الأبد بعدما تركت نيجل. لقد أحيا مارك بداخلها من جديد شعورها بأنها أنثى!

وقال مارك:

«لا، سأقوم بتجفيف نفسي بينما نمشي في الطريق، تعالي الآن.

وأخذ مارك ملابسه عن رمال الشاطئ، ووضع السكين والمفاتيح في جيب بنطلونه الذي لم يكن قد خلعه ثم وضع ساعته في معصمه.

ووقفت ساشا تنظر إليه وهي تعجب لأنه في غمرة اللحاق بها في البحر لم ينس أن يترك أشياءه الثمينة على الشاطئ، وسخرت من نفسها في هذه اللحظة لأنها كانت تعتقد أنه لا يعرف السباحة.

ألقت ساشا بالمشقة إلى مارك وسبقته بعدما حملت رداء الاستحمام المبتل فوق ذراعها وتسلقت الصخور لتصعد إلى الطريق العام وهي تتمنى في هذه اللحظة لو أنها وافقت مارك على ركوب الدراجة البخارية.

كانت تشعر بالدفء بعدما خلعت رداء الاستحمام المبتل ولكنها كانت تجاهد للتمسك بما تبقى لديها من قوة لتتمكن من السير والعودة إلى المنزل.

وعندما وصلا إلى الطريق العام، توقفت ساشا وهي تنظر إلى الطريق وقد ازدحم بالسيارات المسرعة في الاتجاهين. كانت تشعر بإعياء شديد وشعرت برعب مفاجئ، لأنها قد لا تتمكن وهي في هذه الحالة من عبور الطريق.

وأمسك مارك بيدها يجذبها وهو يقول:

«الآن... تعالي بسرعة».

ثم توقفا في منتصف الطريق وانتظرا مرور بعض السيارات من الاتجاه المعاكس وعبرا إلى الناحية الأخرى. وبعد أن وصلا بسلام ترك مارك يدها وسار إلى جوارها في صمت.

وأخذت ساشا تفكر.. لقد كان مارك غاضباً قبل مغادرتها المنزل، ولكنها لا تدري موقفه الآن. ربما يكون ازداد غضباً وشعرت ساشا باليأس وهي تفكر في وضعها، وكيف تكون نهاية هذا الكابوس الذي تعيشه الآن وبدت

لها القرية أبعد منها في أي وقت آخر.

كانت السباحة إلى اليخت آخر محاولات الهرب فقد استنفدت كل قوتها، ولم تعد تستطيع السير بسرعة وكان مارك يتوقف بين لحظة وأخرى لينظر إلى الخلف وينتظرها لتلحق به. وكانت ساشا تعرف أنه يعتقد أنها تفعل ذلك متعمدة، لكنها لم تسرع الخطى بل كانت تشعر بقدميها ثقيلتين ولم يكن أمامها إلا أن تجرهما جراً حتى تصل إلى المنزل الذي بدا لها بعيداً جداً في ذلك الوقت.

وسارا جنباً إلى جنب في الطريق بصمت تام، وكان السكون يلف المكان باستثناء صوت زمامير بعض السيارات بين آن وآخر، أو صوت أرنب يقفز ليختبئ بين الحشائش على جانب الطريق. وأخيراً وصلا إلى المنزل.

وعندما دخلا وأغلق مارك الباب نادى أحد الرجلين من الطابق العلوي فالتفت مارك إلى ساشا وأعطاها المشنقة التي كان يحملها قائلاً:

«انتظري هنا».

ثم هرع مسرعاً إلى الطابق العلوي.

ووقفت ساشا تنصت في سكون تام فسمعت أصوات حديث، ثم أغلق باب غرفة في الطابق العلوي فخفت صوت الحديث، حتى أنها لم تعد تسمع شيئاً وبدا لها غريباً أن مارك يتحدث الانكليزية برغم أن الرجلين اللذين رأتهما من قبل في المنزل لا يعرفان الانكليزية على الاطلاق.

ولم تنتظر ساشا في البهو كما طلب منها مارك بل كانت تشعر بإرهاق شديد فاتجهت بسرعة إلى المطبخ حيث وضعت الحليب على الموقد لتدفئته ثم وضعت فيه بيضة وبعدما قلبته جيداً شربته دفعة واحدة. وكانت تشعر بآلام شديدة في معدتها وتعتقد أن ذلك ربما يكون بسبب الجوع الشديد الذي تشعر به لكنها مع ذلك لم يكن بمقدورها في هذه اللحظة تناول أي طعام جاف.

جلست ساشا بعد ذلك إلى المائدة تنتظر وصول مارك ولكن مضت بضع دقائق ولم ينزل مارك من الطابق العلوي فاتجهت إلى حجرتها وقذفت بنفسها فوق السرير... لم يكن يهمها في هذه اللحظة ماذا سيفعل مارك عندما يكتشف أنها لم تنفذ أوامره وتنتظره كما طلب منها. لم تكن تفكر في شيء على الاطلاق في هذا الوقت سوى أن تنال قسطاً من النوم.

وعندما استيقظت ساشا أخذت تنظر حولها وهي لا تكاد تعرف أين هي... وكانت ما تزال تنتحب لما رأت في منامها حلماً مرعباً؛ رأت نفسها ضالة في أرض غريبة فيها مخلوقات غريبة الشكل تختفي بمجرد النظر إليها...

وجلست ساشا في السرير وهي تضع يدها على جبهتها وأخذ صدرها يعلو ويهبط بسرعة وهي تجاهد لاستعادة هدوئها.

ثم تذكرت فجأة أين هي ووجدت أن الحقيقة أسوأ من الحلم الذي رأته، فالتفتت إلى السرير الآخر المجاور ورأت مارك يستلقي ويراقبها.

وضعت ساشا يدها على فمها لتمنع صرخة فزع من الانطلاق فتحرك مارك من مكانه وهو يسأل:

«ماذا حدث؟»

«لا... شيء...»

ثم أضافت وقد رأته يجلس على السرير:

«لا... أرجوك... اتركني».

وتوقف مارك في مكانه فجأة وهو يقول:

«لم أكن أنوي أن ألمسك... كنت أريد النزول إلى المطبخ لأحضر لك بعض الشراب، فأنت في حاجة إلى بعض منه، إنك تصيحين منذ فترة».

«سأنزل أنا... أرجوك دعني أنزل بنفسي».

«حسناً... يوجد زجاجة في الخزانة. ستفيدك كثيراً في استعادة هدوئك».

ونزلت ساشا إلى البهو حافية القدمين وأضاءت النور. كانت الساعة الرابعة وما زال الظلام منتشراً... وبينما كانت تعبر غرفة الجلوس في طريقها إلى المطبخ سمعت صوتاً فتجمدت في مكانها وهي تنظر إلى الباب الأمامي الذي لاحظت أنه يفتح ببطء شديد.

وصرخت ساشا وهي تنادي مارك وهرعت إلى السلالم تصعدها بسرعة... ولم تكد تصعد بضعة سلالم حتى رأت مارك ينزل مهرولاً إليها وأمسك بها ودفعها خلفه ثم... رأت رجلاً طويل القامة يدخل إلى المنزل ويقول في لهجة أمريكية:

«ما هذا... لماذا كل هذه الأضواء... هل أفتقدتموني أم حدث شيء خطير؟»

وسمعت ساشا مارك يسبه بالروسية... حقاً لم تكن تعرف الروسية ولكنها كانت تعرف ألفاظ الشتائم عندما تسمعها.

ونظر إليها الشاب الأمريكي ورفع حاجبيه في دهشة وهو يسأل:

«هل حدث شيء؟ هل أخطأت في شيء؟ خرجت من المنزل لتفقد الأمور في الخارج».

فقال مارك:

«أفزعت ساشا حتى الموت... هذا كل ما في الأمر».

وشعرت ساشا بأن ساقيها لا تقويان على حملها فجلست في مكانها على السلم وأدركت في هذه اللحظة السرّ في أن مارك كان يتحدث الانكليزية بعدما عادا إلى المنزل ولكن المسألة ازدادت غموضاً بالنسبة إليها وكثرت الاسئلة التي لا تجد لها جواباً حتى الآن.

وقال الشاب الأميركي.

«أنا آسف يا عزيزتي... حقاً أنا آسف... ألن تقدمني إليها يا مارك؟»
فالتفت مارك إلى ساشا وهو يقدم الشاب قائلاً:
«ساشا هنا وابن أومالي من أميركا».
ثم التفت إلى الشاب قائلاً:
«وهذه الآنسة ساشا دوتيلي».
فتقدم وابن منها ومد يده مصافحاً.
كان وابن يبدو وقد قارب الثلاثين من عمره، طويلاً مثل مارك قوياً ورشيقاً ولطيفاً بشعره البني الفاتح المتموج والابتسامة التي تتراقص داخل عينيه.
وقال وابن:
«آسف حقاً يا عزيزتي لأننا تقابلنا على هذه الصورة... وأجدني مضطراً لأشرح لك الأمر، ولكن لا يمكن أن أفعل ذلك في الساعة الرابعة صباحاً».
فقاطعه مارك قائلاً:
«لا أعتقد أن الوقت مناسب لذلك الآن يا وابن، ساشا متعبة، كلنا متعبون... أليس كذلك؟»
وأخيراً نطقت ساشا لتقول:
«انتظر لحظة».
فتوقف الرجلان عن الحديث وهما ينظران إليها وأضافت:
«نعم... أعتقد الآن هو الوقت المناسب، إذا كنتما تعتقدان أنني سأعود ببساطة للنوم».
ثم توقفت فنظر إليها مارك بقلق وكان يقف أمامها حافي القدمين وقال:
«إنك في حاجة إلى كأس، تعالي، اجلسي فوق هذا المقعد، ولا تجلسي على السلالم

الباردة حتى لا تصابي بالبرد».
ومد مارك يده ليمسك بذراعها لكنها سارعت بالوقوف ونزلت السلالم في بطء، كان شعرها مشعثاً لأنها لم تمشطه بعد عودتها من الشاطئ، وكان وجهها شاحباً للغاية بسبب الاجهاد الذي تعرّضت له. وقد امتلأت عيناها بنظرات الخوف كشبح ضئيل وهي تتحرك ببطء متجهة إلى المقعد المريح لتجلس. ولكن على الرغم من ذلك كانت تبدو أنثى رقيقة هادئة وبدا ذلك واضحاً في نظرات الرجلين اللذين وقفا يحدقان فيها.
وبعد أن جلست ساشا فوق المقعد توجه مارك إلى المطبخ ثم عاد يحمل ثلاثة أقداح وزجاجة وضعها فوق المائدة. وسكب بعض الشراب في كأس قدمها إلى ساشا التي كانت تجلس في هدوء تام وهي تضع يديها فوق ركبتيها ولا تدري إذا كان يمكنها تناول الشراب أم لا وقالت بينما مارك يقدم لها الكأس:
«لا أريد كل هذا القدر».
«لن يؤذيك».
لما نظرت إليه أضاف:
«أرجوك يا ساشا».
ونظرت ساشا في عينيه، لم يكن غاضباً الآن، بل خلت نظرة الغضب من عينيه وبدا لطيفاً، وشعرت ساشا بقلبها ينتفض وهي تنظر إليه وقد بدا شعره الداكن مشعثاً وبدأت لحيته في الظهور فظهر وجهه داكناً.
ورفع وابن كأسه قائلاً:
«في صحتك يا ساشا ثم استدرك قائلاً، هل يمكنني أن أناديك باسمك مجرداً، إنني أشعر وكأنني أعرفك. أريد أن أخبرك بشيء، لن أطيل عليك فالوقت غير مناسب ومن الممكن الانتظار حتى الصباح، جواز سفرك معي وسأعيده إليك،

أسف لأخذه بهذه الطريقة ولكننا كنا نريد فقط التأكد من شخصيتك».

ونظرت إليه ساشا بدون أن تقول شيئاً وكان الأمر كله يبدو غامضاً لها ثم أضاف واين:

«كل ما يحدث سببه ذلك الرجل العجوز الموجود هنا في المنزل».

ثم التفت إلى مارك يسأله:

«ما اسمه... سيرج؟»

فهز مارك رأسه بالإيجاب فاستطرد واين:

«حسناً، إن اسمه الحقيقي ليس سيرج إنه يدعى ايغور مايفسكي البروفسور مايفسكي وقد هرب منذ عشرة أيام».

وتذكرت ساشا في هذه اللحظة أين رأت وجه الرجل العجوز الذي بدا أليفاً منذ رأته أول مرة في الممر الحجري... رأته من قبل في الصحف منذ أسبوع لقد نشرت الصحف صورته تتحدث عن اختفاء عالم سوفييتي كبير خلال حضوره أحد المؤتمرات في برلين الشرقية.

وأضاف واين:

«وقد تولى مارك و جانوس حراسته منذ ذلك الوقت وحدث في أحد الأيام أن ذهب جانوس للاغتسال وكان الرجل العجوز يريد سيكاراً فلحق بمارك الذي تصادف وقوفه معك في ذلك الوقت فرآك ورأيته أنت بمحض الصدفة أيضاً».

وأخذت ساشا رشفة من كأسها وشعرت بأن كل شيء من حولها في الحجرة يدور فوضعت الكأس على المائدة بسرعة وهي تشعر أنها على وشك الاغماء... وخيل إليها أن صوت واين يأتي من بعد سحي.

ثم سمعت بعد ذلك صوتاً يقول إنها على وشك الاغماء... ولم تشعر بشيء بعد

ـك.

وعندما أفاقت ساشا وجدت نفسها فوق السرير وشعرت بشيء بارد فوق جبهتها فرفعت يدها لتزيحه فرأت مارك وقد جلس إلى جوارها على السرير وانحنى فوقها وهو يمسك بقطعة من القماش مبللة بالماء المثلج، يضعها فوق جبهتها فأشاحت برأسها بعيداً عنه وهي ترجوه أن يبعد عنها ويتركها بمفردها وامتلأت عيناها بالدموع وسمعت مارك يقول لها في صوت هادئ:

«ساشا... هل أنت مستيقظة؟»

ولما لم ترد عليه أمسك بوجهها برفق لتنظر إليه وقال:

«لقد أغمي عليك... وأنت الآن في سريرك... هل تريدين شيئاً؟»

فهزت رأسها بالنفي فوقف وهو يقول:

«سأذهب الآن... وأرجو أن تتمكني من النوم».

وخرج مارك وتركها وظلت مكانها ترقد في هدوء تام في السرير.

كانت تشعر بإرهاق شديد حتى أنها لم تقو على التفكير... ولكنها كانت تدرك شيئاً هاماً وهو أن مارك والرجال الآخرين الذين معه ليسوا مجرمين كما كانت تعتقد من قبل، مما جعلها تشعر بالراحة.

في الصباح جلست ساشا مع الرجال الأربعة في المطبخ يتناولون طعام الافطار، وبدا لها جانوس الرجل الأصلع لطيفاً وليس كما تصورته من قبل، كان مارك و واين يقومان بإعداد البيض واللحم المحفوظ وعش الغراب الطازج بينما جلست ساشا كملكة متوجة إلى المائدة وجلس الأستاذ العجوز إلى جوارها وأخذ مارك يترجم لها كل شيء يقوله الأستاذ بالروسية.

كان الجو مختلفاً تماماً هذه المرة فلم يعد هناك أي توتر يخيم على المكان وبدلاً من ذلك كان الهدوء يسود جو المطبخ وأصوات الضحكات تتردد فيه.

كان مارك طاهياً ممتازاً كما اتضح لها منذ البداية والطعام لذيذاً فأكلت ساشا بشهية وكانت تشعر بالجوع بعد كل ما تعرضت له من انفعالات نفسية.

وكانت ساشا تبدو جميلة بشعرها المنسدل فوق ظهرها ترتدي بنطلوناً قصيراً أبيض وصدرية خفيفة من القطن الأزرق أظهرت لون عينيها الجميل. وكانت تشعر بالاضطراب كلما التقت نظراتها بنظرات مارك فتتورد وجنتاها. وبدا مارك هادئاً تماماً وقد زال غضبه فبدا لها شخصاً مختلفاً تماماً عن ذي قبل.

وبعد الانتهاء من الافطار قال وابن:

«هل تخرجين للمشي معي قليلاً يا ساشا؟ فهناك الكثير أود أن أوضحه لك. وأعتقد، كما يعتقد مارك أنك لن تصدقيه.»

ونظر وابن إلى مارك وهو يغمز له بطرف عينه وبدا كأن مارك يريد أن يقول شيئاً لكنه عدل عن ذلك واكتفى بالابتسام.

فردت ساشا بالايجاب وقالت:

«بالطبع يمكنني ذلك... ولكن يجب أن أذهب إلى غرفتي أولاً لأرتب السرير، لن يستغرق مني ذلك وقتاً طويلاً».

وصعدت ساشا إلى الغرفة بينما كانت تلف إلى جانب سريرها تفكر في كل ما حدث لها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب وسمعت صوت مارك يقول:

«هل يمكنني الدخول يا ساشا؟»

فردت ساشا بالايجاب ودخل مارك ووقف في مواجهتها بعد أن أغلق الباب وراءه وقال:

«حضرت لأقول لك أنني آسف لما بدر مني... أمس... على الشاطئ».

واضطربت ساشا فقد تذكرت ما حدث بالأمس وأشاحت بوجهها سريعاً

وهي تقول:

«أوه... إن... إن الأمر لا يهم».

فتقدم مارك منها ولمس ذراعها برفق شديد وهو يقول:

«ولكن الأمر يهمني... فقد تصرفت بطريقة فظيعة لأنني كنت في ثورة من الغضب، ولكنني أعرف أن هذا لا يبرر تصرفي».

فردت ساشا في بطء:

«أعرف الآن لماذا كنت تخشى أن أخبر أي شخص، ولكن لو أنك أخبرتني بحقيقة الأمر منذ البداية»

«لم يكن بمقدوري ذلك، لم أكن أعرف من أنت حتى بعد أن رأيت جواز سفرك وعرفت منك بعض المعلومات عن شخصيتك، كان علينا التأكد من كل شيء، وإلى أن تأكد لنا صدق كلامك كان عليّ أن أراقبك بدقة».

ثم أضاف وهو يشير برأسه ناحية السرير المجاور:

«ولهذا كان لا بد أن أبقى معك، حقاً كان الوضع محرجاً بالنسبة اليك أيضاً، ولكن وقد انتهى كل شيء الآن ـ يمكنك أن تنامي في أمان الليلة.»

وسألته ساشا في صوت ضعيف:

«متى تغادر المنزل يا مارك؟»

فهز كتفيه وهو يجيب:

«في أسرع وقت ممكن، وبعد ذلك يمكنك أن تتمتعي بأجازتك وتفعلي كل ما تريدين».

وسكتت ساشا للحظة فكيف تخبره بشعورها الحقيقي وبأن أجازتها لن يكون لها معنى الآن إذا أمضتها بمفردها في المنزل... كانت تشعر بأن شيئاً يعتصر قلبها ولكنها قالت:

«حسناً. أرى أنه من الأفضل أن أنتهي من ترتيب سريري. وسأرتب لك سريرك. خاصة بعد هذا الافطار اللذيذ الذي قمت بإعداده».

«شكراً يا ساشا، وعلى فكرة، لقد علقت رداء استحمامك ومنشفتك ليجفا فقد تركتهما أمس في المطبخ».

«شكراً. لقد نسيتهما».

كانت ساشا تشعر بأن جواً من التوتر يخيّم على الغرفة. لم يكن بوسعها احتماله أكثر من ذلك فنظرت إلى مارك وأدركت أن لديه الشعور نفسه. كان هناك شيء ما لا تدري كنهه يخيّم على الجو ويجعلها تشعر بالاضطراب. فأغمضت عينيها وهي ترفع يدها لتضعها فوق جبهتها فسألها مارك:

«هل تشعرين بتعب؟»

«أنا متعبة قليلاً. ولكنني سأكون على ما يرام بعد أن أنال قسطاً وفيراً من النوم الليلة».

«نعم، وأنا أيضاً».

ثم نظر إليها وهو يبتسم وقال:

«حسناً. أظن أنه من الأفضل أن أمضي الآن. ربما ذهبت لشراء بعض الأشياء من القرية. هل تحتاجين لشيء؟»

ففكرت ساشا، ثم قالت:

«لم أتصل بوالدي منذ حضوري... فهل يمكنك أن ترسل برقية باسمي ليطمئن عليّ».

«بالطبع... اكتبي ما تريدين ولا داعي للاستعجال فسأذهب أولاً لاطعام الدجاج».

قال مارك ذلك ثم تركها وغادر الغرفة.

خرجت ساشا مع واين وسارا معاً حتى وصلا إلى كوخ السيدة كاسيل حيث توقفا يشاهدان الدجاج يلتقط الحب الذي ألقاه مارك.

وشرح واين لساشا كل ما يتصل بمسألة الأستاذ مايفسكي وهي تنصت إليه باهتمام شديد. وقال واين وهما يستندان إلى جدار الكوخ:

«كانت عملية دقيقة للغاية... فقد ترددت بعض أنباء عن اعتزام الأستاذ مايفسكي الهروب منذ وصوله إلى برلين الشرقية لحضور المؤتمر... وكان علينا أن نتحرك بسرعة لنكون على استعداد. أما كيف تمكّن من الهرب من برلين الشرقية... فكل ما أستطيع قوله أنه وصل إلى مارسيليا منذ أسبوع ثم حضر إلى هذا المنزل المنعزل على الفور».

وتوقف واين قليلاً عن الحديث ليشعل سيكارة ثم أضاف:

«وقد عيّن كل من جانوس و مارك لحراسته ولكن مارك يقيم أصلاً في فرنسا لأن له جنسية مزدوجة فهو نصف فرنسي، وأنت تعرفين ذلك بالطبع...»

ولم تكن ساشا تعرف هذه الحقيقة لكنها لم تشأ أن تقاطع واين الذي استطرد يقول:

«أما بالنسبة إليّ فقد جئت لأنني سأتولى المرحلة المقبلة وهي ترحيل الأستاذ مايفسكي إلى أميركا. وإلى هنا تنتهي مهمة مارك أما جانوس فسيتوجه معنا إلى أميركا».

وسألت ساشا:

«وماذا يفعل مارك بعد ذلك؟»

ابتسم واين وهو يقول:

«سيعود إلى مطعمه. إنه يمتلك مطعماً من أفخم وأشهر المطاعم في مكان ما في وادي اللوار، وهو مشهور بطعامه الممتاز. جاء مارك إلى فرنسا منذ حوالي

خمس سنوات ولذلك أعتقد أنه فرنسي الآن أكثر مما هو روسي».

وتوقف واين ليلقي بقايا السيكارة وأضاف:

«زوجته تقوم بالاشراف على المطعم أثناء غيابه وعلى المرء أن يحجز مائدة قبل التوجه إلى مثل هذا المطعم ببضعة أيام...»

لم تكن ساشا تستمع إلى واين في هذه اللحظة بل فوجئت بحديثه عن زوجة مارك... طبيعي أن يكون مارك متزوجاً فهو يبدو في الثلاثين من عمره، لكنها شعرت بغصة في حلقها وبدا كأن قلبها يوشك على التوقف عن الخفقان فقالت في لهجة حاولت أن تكون طبيعية:

«لكنني لم أكن أعرف أن مارك متزوج».

«إنه متزوج وله طفلان أيضاً... لم أقابل عائلته من قبل، لكنني سمعت بذلك...»

وشعرت ساشا بالحزن يملأ نفسها، إذن فإن مارك أب أيضاً، وفكرت في نيجل، إنه على الأقل لم يكن أباً... ولكن الوضع متشابه فكلاهما متزوجان.

من حسن حظها أن اكتشفت هذه الحقيقة الآن قبل التورط مع مارك أكثر من ذلك.

وجاهدت ساشا لتبدو طبيعية فسألت واين ـ وهي ترسم على شفتيها ابتسامة واهنة:

«أريد أن أعرف شيئاً... هل كان هناك من يراقب المنزل أثناء الليل. لا شعرت بذلك عندما خرجنا أنا ومارك للسير في الصباح الباكر».

«نعم ... كان هناك شخصان يقومان بهذه المهمة وكانا على اتصال لاسلكي بمارك معظم الوقت».

وحاولت ساشا اليأس وتظاهرت بالاستماع إلى واين ولكنها سرحت

بأفكارها قليلاً... كان الألم يعتصر نفسها في هذه اللحظة. يالسخرية القدر.. جاءت إلى هذا المكان المنعزل لتنسى قصة حبها مع نيجل وتجحت في ذلك بالفعل، والآن تعود إلى بلدها بقصة أخرى وألم جديد.

ثم انتبهت ساشا وسألت واين:

«ذلك يعني... أنني لو لم أحضر إلى المنزل في تلك اللحظة... وأرى الأستاذ مايفسكي لما حدث لي أي شيء، مما حدث؟»

«بالطبع لا، كل ما كان سيحدث لو أنك لم تشاهدي مايفسكي هو أننا كنا سنحاول مراقبتك لبعض الوقت كأجراء احتياطي... لكنك كنت سيئة الحظ لا عرفت من مارك أنك حاولت الهرب عدداً من المرات».

فابتسمت ساشا وهي تسأل:

«وماذا قال لك مارك بالضبط؟»

فضحك واين وهو يقول:

«لا... لن أحاول أن أنقل أي كلام. فأنا أتحاشى التعرض لأي شخص مثل مارك وأفضل الاحتفاظ به إلى جانبي».

ولكن ساشا أصرت على معرفة ما قاله مارك فهز واين كتفيه وضحك قبل أن يقول:

«أبلغني من بين ما أبلغني به أنه برغم مظهرك الرقيق فإنك عنيفة جداً».

لم تكن ساشا تدري لماذا تهتم كثيراً بمعرفة ما قاله مارك عنها ولكنها لم تكن تستطيع أن تمنع نفسها من ذلك فقالت:

«أعتقد أنه يعني بذلك محاولتي ضربه بقضيب الخشب على رأسه، ولكن كان من حسن حظه أن انتبه إلى ذلك».

نظر إليها واين باعجاب شديد وهو يقول:

«حقاً... أنت فعلت ذلك يا عزيزتي»

ثم أضاف وهو يطلق صفيراً من فمه:

«أعتقد أن ذلك أغضبه كثيراً»

فقالت ساشا:

«قال لي في ذلك الوقت... لو أنك رجل لقتلتك»

«وهو يعني ذلك حقاً، رأيته يقطع لوحاً من الخشب إلى نصفين بضربة واحدة بجانب من يده... ألم تشعري بأي خوف وأنت تحاولين ضربه»

«نعم، شعرت بالخوف أول الأمر، ولكن كان عليّ أن أحاول، لأتمكن من الهرب»

«بالطبع يا عزيزتي... يا لك من فتاة رائعة»

ثم أمسك واين بذراعها وهو يقول:

«لنعد الآن إلى المنزل فلا أريد أن يشعر مارك بالغيرة»

«هذا شيء مستبعد لأن هناك حباً مفقوداً بيننا... ذلك إلى جانب أنه رجل متزوج»

في أي حال فلنعد الآن إلى المنزل»

عندما عادا إلى المنزل كان مارك ما زال في القرية وشعرت ساشا بالراحة لذلك، إذ أتاح لها فرصة أكبر للاستعداد نفسياً لملاقاته، بعد أن عرفت من واين بأمر زواجه. وكانت تريد أن تبدو طبيعية في تصرفاتها معه حتى لا يبدو عليها أي انفعال، إنه حتماً لن يعرف مشاعرها تجاهه، وربما استطاعت أن تنساه بعد ذهابه، ولكنها كانت تدرك تماماً أنها لن تستطيع ذلك.

وعندما عاد مارك من الخارج كان محملاً بالأطعمة التي أحضرها من القرية ودخل المطبخ، وكانت ساشا تجلس فيه بمفردها فقدم لها لفافة صغيرة وهو ينحني لها قائلاً:

«هذه لك يا ساشا...»

فأخذتها ساشا وهي تشكره وأدهشتها وجدتها ثقيلة فقالت:

«هل يمكنني فتحها الآن؟»

فضحك مارك وهو يقول لها:

«بالطبع»

وجلست ساشا إلى المائدة وأخذت تفض اللفافة لتجد في داخلها صندوقاً صغيراً بداخله ثقل من الأثقال التي توضع على الورق لتمنعه من التطاير وكان على هيئة كرة من الكريستال على شكل وردة جميلة.

فنظرت ساشا إلى مارك وهي تقاوم رغبتها في البكاء وحاولت الابتسام وهي تقول:

«إنها رائعة حقاً... شكراً لك يا مارك»

والتقت نظراتها فشعرت ساشا بالدماء تندفع إلى وجهها فأشاحت بوجهها سريعاً وهي تنظر إلى الصندوق الصغير الموضوع أمامها على المائدة وقالت:

«سأذهب لأضعه في مكان أمين... أخشى أن يسقط فتنكسر الكرة»

ووضعت كرة الكريستال في الصندوق من جديد ووقفت قائلة:

«عن إذنك»

كان عليها أن تمر به وهي في طريقها إلى باب المطبخ، لكن مارك لم يفسح لها الطريق فلامست جسمه وهي تمر مما جعلها تشعر بالاضطراب والحزن معاً.

وعندما عادت ساشا إلى حجرتها قررت شيئاً وهو أن تتحاشى بقدر الامكان الانفراد بمارك طوال فترة وجوده في المنزل. ولا يهم، إذا كان لا يعرف السبب في ذلك... لكنها لم تكن تستطيع أن تتصوره وهو الرجل المتزوج... كيف يحاول التودد إليها كما يفعل، ألا يشعر بتأنيب ضميره، ربما أصبح مارك بعد بقائه هذه الفترة الطويلة في فرنسا مثل أي زوج فرنسي تجتاحه نزوات غرامية.

وتركت ساشا من غرفتها بعد ذلك واتجهت إلى سيارتها في الكراج حيث أخذت أدوات الرسم، وتوجهت إلى المطبخ لاحضار أحد المقاعد وصينية لاستخدامها كحامل للصورة، وبينما هي متجهة إلى غرفة الجلوس رأت وابن يهبط السلم فلما رآها حياها قائلاً:

«دعيني أساعدك».

ثم أخذ منها المقعد والصينية وهو يسألها أين تريد وضع المقعد.

«في الحديقة الأمامية... إذا تكرمت... أين الجميع؟»

«في الطابق العلوي... يضعون الخطط النهائية. كل شيء سينتهي هنا الليلة أو في الصباح الباكر».

وشعرت ساشا بالألم، فكل شيء سينتهي، ولن تتمكن من رؤية مارك بعدئذ، ولكن يجب عليها الإمساك فلا مفر من ذلك.

ووضع وابن الأشياء إلى جانب أدوات الرسم وهو يسألها:

«هل تريدين أن أساعدك في وضع حامل الصورة؟»

فابتسمت وهي تقول:

«كيف عرفت أنني سأستخدم "المقعد لهذا الغرض؟»

«إنهم هنا لا يطلقون عليّ «العقل المدبّر» اعتباطاً يا عزيزتي... أين تجلسين؟»

«سأحضر مقعداً صغيراً من غرفة الجلوس».

وتوجهت ساشا إلى داخل المنزل ورأت مارك يهبط السلم فبادرها بقوله:

«هل تسمحين لي باستخدام سيارتك في الصباح يا ساشا، أريد إحضار السيدة كاسيل».

«نعم، بالطبع، ولكن ماذا تقول للسيدة كاسيل. كنت أعتقد أنك استأجرت المنزل لمدة أسبوع آخر أو أسبوعين».

«صحيح، ولكنني أوضحت لها أننا ربما اضطررنا إلى ترك المنزل قبل ذلك، وأنني سأعلمها بذلك في حينه. لا تقلقي سأحاول أن أشرح لها الأمر على قدر الامكان لأبرر حضورك إلى المنزل».

وفهمت ساشا أنه يعمل حساب كل شيء، كل شيء، باستثناء شيء واحد فقط وهو كيف يمنع فتاة غبية مثلها من الوقوع في حبه.

وتمنت ساشا في هذه اللحظة لو أنها تكرهه كما كانت تكرهه من قبل... ولكنها تعرف تماماً أنه لا يمكنها ذلك الآن... وربما لم تكرهه من قبل على الاطلاق... إنها تنسى أول لقائها على الممر الحجري وهو يتجه إليها مبتسماً كالمارد الأسمر.

وأخذت ساشا تنظر إليه وهو يتجه إلى المطبخ، ثم توقف وهو يقول:

«سأعد القهوة لنا جميعاً، هل تريدين قدحاً يا ساشا؟»

«نعم، أرجوك».

إنه يبدو جذاباً فعلاً. كانت العمة ماري على حق عندما أعجبت به إذ يمكنه أن يجذب إليه حتى الطيور من أعشاشها.

ثم تذكرت ساشا فجأة القرار الذي اتخذته بعدم الانفراد بمارك فأخذت أحد المقاعد واتجهت إلى الخارج.

وأمضت بقية اليوم في الحديقة ترسم. كانت تشعر بالأمان وهي بعيدة عن المنزل حتى أنها لم تدخل لتناول الغداء، واكتفت بتناول بعض الشطائر وهي تجلس على الحشائش.

لكنها مع حلول الظلام اضطرت إلى دخول المنزل، وكان الرجال في غرفة الجلوس يلعبون الورق وتولاها شعور بالضيق، وشعرت فجأة أنها بعيدة عن هذه المجموعة من الرجال وأنه لا مكان لها بينهم.

ولاحظت ساشا ان مارك و واين يحاولان الوقوف عندما دخلت غرفة الجلوس فقالت:

«أرجو أن تظلا في مكانكما، سأجلس لمشاهدتكم بعض الوقت».

فسألها مارك:

«هل تودين الاشتراك معنا».

هزت رأسها بالنفي وهي تقول:

«أخسر دائماً في لعب الورق... ولذلك أفضل الاكتفاء بمشاهدتكم».

ووضعت ساشا أدوات الرسم بعناية في أحد أركان الغرفة وجلست لمشاهدة الرجال وهم يلعبون الورق وهي تسائل نفسها: متى يغادرون المنزل وكيف... وأدركت أخيراً من الحديث أن مارك لن يذهب معهم وأنه سيبقى في المنزل. وجلست في مكانها بين واين وجانوس ساكتة تماماً وهي تفكر في هذا الأمر.

مارك لن يذهب مع الرجال وهذا يعني أنها ستبقى بمفردها معه في المنزل...

٦ ـ افلاطون

صعد واين إلى الطابق العلوي بعد العشاء، وعندما نزل مرة أخرى إلى غرفة الجلوس كان يحمل معه جهازاً غريباً بدا لساشا كأنه راديو ترانزيستور.

وقال واين:

«هذا هو الجهاز... أبلغ يا مارك الرجال بأن يستعدوا عند منتصف الليل».

وأعقب ذلك حديث صغير باللغة الروسية ثم أحضر مارك زجاجة شراب وعدداً من الكؤوس وجلس الجميع يتناولون الشراب ويدخنون.

وبدأت سحب الدخان تملأ الغرفة مما جعل ساشا تشعر بالرغبة في النوم، لكنها كانت تريد أن تظلّ مستيقظة لتودع الرجال الثلاثة قبل مغادرتهم المنزل فاسترخت في أحد المقاعد الوثيرة بعيداً عن الرجال الذين جلسوا يتجاذبون أطراف الحديث.

وأخذت ساشا تتثاءب وشيئاً فشيئاً خيّل إليها أن أصوات الرجال تبدو بعيدة، وبدأت حلقات الدخان تتراقص من حولها وبدت لها الغرفة كمشهد في أحد الأفلام السينمائية... راحت في سبات عميق.

لم تشعر ساشا بشيء بعد ذلك إلا و واين يهزها برفق، ففتحت عينيها وهي تتلفت حولها خائفة متسائلة:

«ماذا حدث؟»

«سنغادر المنزل الآن يا عزيزتي، الساعة قاربت الثانية عشرة».

اعتدلت في جلستها بسرعة وهي تفرك عينيها وقالت:

«آسفة... لا بد أن عيني غفلت قليلاً. كنت متعبة للغاية».

فضحك واين وهو يقول:

«أعرف ذلك... هذا يحدث دائماً في بعض الأوقات... كنت تنامين في سلام وتتنفسين بصوت عالٍ».

«حقاً فعلت ذلك؟»

فضحك واين وأجاب:

«أنا أداعبك فقط يا ساشا، لم يصدر منك أي صوت!»

ونظرت ساشا حولها فلم تجد أحداً من الرجال فقال واين:

«إنهم يستعدون للرحيل ويجمعون حاجاتهم... أما أنا فليس لديّ ما أجمعه لأنني أفضل ألا أحمل معي أشياء في تنقلاتي».

وسمعت صوتاً عالياً فتوقف واين وهو يقول:

«إنها هي... تعالي يا ساشا وانظري».

لم تكن ساشا قد رأت في حياتها من قبل طائرة هيلوكوبتر عن قرب وتمنت في هذه اللحظة لو معها آلة تصوير لالتقاط صورة لها فوالدها التي لن يصدق أبداً أن طائرة هيلوكوبتر هبطت في الحديقة الأمامية للمنزل.

ونزل الرجال مسرعين من الطابق العلوي بينما بدأت مراوح الطائرة في التوقف... وفتح مارك باب المنزل ولوح بيده ثم التفت إلى جانوس ومايفسكي وهو يقول شيئاً باللغة الروسية.

والتفت مايفسكي إلى ساشا ومدّ لها يده مودعاً فقالت له بالانكليزية:

«مع السلامة وأتمنى لك رحلة آمنة».

وبدا كأنه فهم ما قالته فقد ابتسم لها وودعت جانوس الذي انحنى وهو يخرج من المنزل ثم عانقها واين مودعاً وهو يقول:

«سأراك مرة أخرى يا ساشا وعلى فكرة هل استعدت جواز سفرك؟»

فرد عليه مارك قائلاً:

«إنه معي... وسأعطيه لها فيما بعد».

ووقفت ساشا في باب المنزل تشاهد الرجال الثلاثة يتقدمون إلى حيث تقف الطائرة... وخرج مارك معهم ليساعدهم في الصعود ثم صافحهم وابتعد عن الطائرة التي بدأت الاستعداد للتحرك وأخذت ترتفع حتى غابت عن النظر، وانتهى كل شيء.

وشعرت ساشا بحزن شديد وهي ترى الطائرة تغيب بعيداً. ووقف مارك قليلاً يلوح، ثم اتجه عائداً إلى المنزل. تركت ساشا مكانها قرب الباب، واتجهت إلى الداخل فقد قررت تحاشي الانفراد بمارك... ولكن الأمر بدا لها صعباً الآن وقد أصبحا بمفردهما في المنزل. وكانت الساعة تتجاوز الثانية عشر و ساشا تشعر بالارهاق وبعدما دخل مارك إلى المنزل أغلق الباب وسألها:

«هل تريدين بعض الشراب؟»

فاجابته قائلة:

«لا شكراً... انا متعبة للغاية وسأذهب للنوم».

«حسناً... تصبحين على خير يا ساشا».

وكان مارك يبدو حزيناً لذهاب الرجال الآخرين ونظرت إليه ساشا، كان يبدو مرهقاً وقد ظهرت آثار التعب تحت عينيه فتمنت له ساشا نوماً طيباً واتجهت إلى السلالم تصعدها في بطء متجهة إلى الطابق العلوي، وبعد أن اغتسلت ذهبت الى غرفتها وأغلقت بابها من الداخل بالمزلاج.

عندما استيقظت ساشا في الصباح كانت أشعة الشمس تملأ الغرفة فنظرت في ساعتها وكانت حوالي العاشرة.

وعندما اتجهت ساشا إلى الحمام كان كل شيء هادئاً تماماً في المنزل وسألت ساشا نفسها إذا كان مارك ما زال نائماً... وهي تتمنى ذلك.

وبعد أن اغتسلت بدلت ملابسها وانتقت الثوب الأبيض الذي كانت تلبسه عند زيارتها العمة ماري... وفي هذه اللحظة شعرت ساشا بأنها أصبحت حرة تفعل ما يبدو لها، تذهب لزيارة عمتها في أي وقت تريد أو للسباحة أو للتريض قليلاً أو تذهب إلى كان إنها الآن حرة، والتفتت إلى المرآة فرأت جواز سفرها على الرف تحت المرآة، وفجأة تذكرت مارك وشعرت بالحزن يملأ نفسها. إنها حقاً حرة الآن تقضي عطلتها كما يحلو لها ولكن ما معنى الحرية الآن وهي تشعر بالألم يعتصر قلبها وهي تحب شخصاً لا يبادلها شعورها. وأغلقت ساشا عينيها بعصبية: ما هذا الجنون؟ وكيف تسمح لنفسها بأن تقع في حب شخص مغامر مثل مارك، يختلف تماماً عن كل من عرفتهم من قبل.

وجلست ساشا أمام المرآة تمشط شعرها وهي تحاول أن تقنع نفسها بأن ما تشعر به تجاه مارك لا يمكن أبداً أن يكون حباً وأنه مجرد نوع من الاعجاب أو الافتتان بهذا الرجل الجذاب الخبير بشؤون الحب. وكلما أسرعت في الابتعاد عنه كلما كان ذلك أفضل لها.

واستمرت ساشا تمشط شعرها بعصبية وهي تفكر في مارك وعودته بأسرع ما يمكن إلى زوجته وولديه.

وانتبهت ساشا فجأة إلى صوت سيارة تتجه إلى المنزل فخرجت إلى النافذة مسرعة لترى سيارتها الصغيرة تتجه بخط من الممر الحجري لتقف أمام المنزل. وتذكرت ساشا أن مارك طلب منها استخدام سيارتها لاحضار السيدة

كاسيل، وتوقفت السيارة أمام المنزل ليهبط منها مارك، ثم رأته يساعد السيدة كاسيل في الهبوط ثم حاملاً حقيبتها، واتجها إلى الباب.

أسرعت ساشا بالهبوط وهرعت لملاقاة السيدة كاسيل التي كانت بالنسبة اليها في منزلة العمة ماري، وما أن رأتها حتى ألقت بنفسها بين أحضانها وهي تقول:

«مدام... كم أنا سعيدة برؤيتك».

«وأنا كذلك يا ابنتي... ولكن ما الذي يحدث هنا؟»

وتقدم مارك الذي كان يقف قرب الباب إلى الداخل وهو يقول بالفرنسية:

«كنت أحاول أن أشرح للسيدة كاسيل سوء التفاهم الذي حدث... وكيف أن كل شيء على ما يرام الآن لأننا تلقينا دعوة لقضاء عطلتنا في الفيلا التي يمتلكها أحد الأصدقاء في نيس. والآن يمكنك البقاء في المنزل لقضاء عطلتك يا آنسة دونيللي...»

ونظرت ساشا إلى مارك وأدركت أنه كذب على السيدة كاسيل واختلق قصة ليبرر بها الموقف، ولكن لا بد أنه معتاد على الكذب.

وسألت السيدة كاسيل:

«ولكن عروسك يا سيدي، هل هي موجودة هنا؟»

فهز كتفيه قائلاً:

«غادرت المنزل بعدما حملت معها جميع الأمتعة، وسألحق بها، لكنني كنت أريد أن أطمئن أولاً إلى عودتك للعناية بالآنسة دونيللي، والدواجن بالطبع».

وضحك بطريقة صبيانية لطيفة وهو يقول ذلك ثم أشار بيده إلى حقيبة السيدة كاسيل مضيفاً:

«هل تسمحين بحمل حقيبتك إلى الكوخ، معي المفتاح».

«نعم، نعم شكراً لك، سأعود فوراً يا ساشا للعناية بك».

فقالت ساشا:

«لا داعي لأن تتعبي نفسك يا مدام، ليس في الصباح فإنني أنوي قضاء بضع ساعات في الرسم ولا أحتاج لشيء».

وبدا على السيدة كاسيل أنها ترحب بالبقاء في كوخها ولو لفترة قصيرة للعناية بشؤونها فقالت:

«كما تشائين يا عزيزتي».

ووقفت ساشا تنظر إلى السيدة العجوز وهي تبتعد بمشاعر مختلطة. وبعد بضع دقائق عاد مارك وكانت ساشا في المطبخ تعد القهوة فوقف بالباب يراقبها للحظة ثم قال:

«الآن وقد عادت السيدة كاسيل يمكنني الذهاب».

«هل تعني أنك لم تكن لتغادر المنزل لو أن السيدة كاسيل لم تعد اليوم؟»

«لا... بالطبع فلم أكن لأتركك هنا وحيدة بمفردك».

فقالت ساشا بدون أن تحاول النظر إليه:

«أنا قادرة على العناية بنفسي».

«لم أقصد ذلك... كل ما في الأمر أنك كنت تتوقعين وجودها عند حضورك لقضاء عطلتك، والآن لقد حضرت بالفعل».

فالتفتت ساشا إليه وهي تقول:

«حقاً، تأخرت عن الحضور يومين ولكنها عادت في أي حال. هل انتهيت من اعداد حاجياتك؟»

«نعم، وضعت كل شيء على الدراجة.وهذه هي مفاتيح سيارتك، وهي ملصقة بالرفرف».

ثم تقدم مارك ببطء منها وهو يقول:

«ساشا أريد أن أراك مرة أخرى... هل يمكنني الحضور غداً؟»

ونظرت ساشا إلى مفاتيح السيارة على المائدة... أخذها منها مارك منذ ثلاثة أيام فقط ولكنها تبدو لها فترة بعيدة جداً. والآن أعادها إليها وقد انتهى كل شيء.

فقالت ساشا:

«كنت أعتقد أنك ستعود إلى منزلك».

وودت في هذه اللحظة لو أنه يخبرها بالحقيقة... ربما كان ذلك سيخفف عنها إلى حد ما، ولكنه قال:

«سأقضي عدة أيام في كان فليس هناك ما يستدعي عودتي السريعة إلى منزلي».

شعرت ساشا بالبرودة تسري في كيانها فالتقطت المفاتيح عن المائدة ووضعتها في جيبها وهي تقول بهدوء:

«لا، يا مارك، لا يمكنك أن تأتي غداً أو بعد غد، فانني لا أريد أن أراك».

تجهم وجه مارك وسألها:

«ولكن.هل يمكنني أن أعرف السبب؟»

«لأن كل شيء انتهى، انتهى كل هذا...»

وأشارت بيدها في يأس، ثم أضافت:

«لم يعد هناك شيء... رحل الجميع ويمكنك أن ترحل أنت بدورك الآن، وسأقضي عطلتي كما خططت لها من قبل. لم أضعك في اعتباري عندما حضرت إلى هذا المنزل لأقضي عطلتي ولا أنوي ذلك الآن».

كانت ساشا تبذل مجهوداً كبيراً وهي تتحدث وتحاول أن تمنع الدموع عن

عينيها... ونظرت إلى مارك وقد تغير وجهه تماماً وهو يستمع إليها تقول ذلك. ورأت في عينيه نظرات لم يكن من السهل عليها أن تنساها لفترة طويلة.

وانتظرت ساشا أن يرد مارك عليها أو يناقشها لكنه لم يفعل بل بدأ في هدوء يغادر المطبخ. ثم سمعت صوت الباب الأمامي يفتح ثم يغلق ثم رأته يمر أمام النافذة.» وبعد دقيقة رأته يهبط الممر إلى دراجته بدون أن يحاول الالتفات ولو مرة واحدة... وما أن اختفى عن نظرها حتى انفجرت باكية.

لا تدري ساشا كيف أمضت الأيام القليلة التي أعقبت هذا اللقاء العاصف مع مارك. قامت بالقيام بكل ما كانت تود أن تؤديه أو تتمنى أن تفعله في عطلتها من قبل... وقضت وقتاً كبيراً في الرسم وذهبت إلى الشاطىء مراراً للاستحمام. لكنها كانت تشعر بفراغ قاتل وكل شيء، حولها يذكرها بمارك.

ووجدت في احدى الغرف زجاجة فيها قليل من سائل يستعمل بعد الحلاقة. ذكرتها رائحته بالرائحة الغريبة التي كانت تملأ حديقة الكازينو الصغيرة حيث جلست مع مارك. فوضعت الزجاجة في حقيبتها لأنها كانت تود الاحتفاظ بها ذكرى بعد مغادرتها المنزل.

بقي إسبوعان على انتهاء عطلتها ولكن ساشا لم تكن تعرف كيف يمكنها احتمال البقاء في المنزل طوال هذه الفترة وكل شيء، فيه يذكرها بمارك لم تكن تستطيع النوم وكلما نظرت إلى السرير المجاور لها كانت تتخيل مارك ينام فيه فكانت تبكي في الظلام وتتمنى أن تنتهي العطلة سريعاً لتبعد عن هذه الذكريات. والدها سيرحب بعودتها ولن يسألها عن أي شيء.

وعندما حل يوم الأحد كانت ساشا قد صممت على مغادرة المنزل. وشعرت بالراحة وهي تتخذ هذا القرار فهرعت إلى غرفتها لحزم أمتعتها وهبطت إلى البهو حيث تركت ورقة صغيرة للسيدة كاسيل تقول فيها أنها ستعود سريعاً. كانت

تعرف أن السيدة كاسيل ستحضر إلى المنزل بعد حوالي ساعة وأنها ستشعر بالقلق لغيابها.

واستقلت ساشا سيارتها إلى المكان الوحيد الذي كانت تتمنى الذهاب إليه في هذه اللحظة... إلى منزل العمة ماري.

عندما وصلت كان باب الشقة موارباً كالمعتاد فنادت عمتها وهي تقول:

«هل يمكنني الدخول».

وجاءها صوت عمتها من الداخل يقول:

«بالطبع... ساشا! أهلاً يا طفلتي الصغيرة ادخلي».

كانت العمة ماري تجلس في مقعدها قرب النافذة فلما دخلت ساشا فتحت لها ذراعيها مرحبة وهي تقول:

«لماذا حضرت في هذا الوقت المبكر... إنني سعيدة برؤيتك... ثم قالت وهي تحتضن ساشا وتشير إلى باقة جميلة من الزهور وضعت إلى جوارها فوق المائدة:

«انظري إلى هذه الزهور الجميلة. أحضرها صديقك الشاب اللطيف. فانتفضت ساشا واقفة وهي تسأل وكأنها لا تصدق أذنيها:

«ما... ماذا قلت يا عمتي؟»

ولاحظت العمة ماري التغير الذي طرأ على وجه ساشا فنظرت إليها وأخذت تربت بيدها على يد المقعد ثم قالت:

«اجلسي يا عزيزتي! وأخبريني بحقيقة الأمر. ماذا حدث؟»

ولاحظت العمة ماري التغير الذي طرأ على وجه ساشا فنظرت إليها وأخذت تربت بيدها على يد المقعد ثم قالت:

«اجلسي يا عزيزتي! وأخبريني بحقيقة الأمر. ماذا حدث؟»

فجلست ساشا وهي تمسك بيد السيدة العجوز الممتدة لها وقالت:

«سأعود إلى المنزل يا عمتي، هل يمكنني الاتصال بوالدي من هنا ليحجز تذكرة لي على الطائرة؟»

ثم أخذت ساشا تسرد على عمتها كل ما حدث منذ أول لقاء لها مع مارك في الممر الحجري حتى لحظة معرفتها من وابن بأمر زواجه ولقائه الأخير معها في المطبخ... وكانت السيدة العجوز تستمع إليها في سكون وهي تهز رأسها أحياناً وتضغط على يدها بقوة وكأنها تريد أن تشجعها على الاستمرار في الحديث، الذي لم تحاول أبداً أن تقطعه وبعد أن انتهت ساشا تنهدت العمة ماري بعمق وهي تقول:

«أوه يا عزيزتي، إنه شيء مؤسف أن يحدث ذلك، ولكن ماذا يمكنني أن أقول، أعجبت جداً بهذا الشاب، كان يبدو لطيفاً وقوياً ومهذباً كأنه ولد ليكون أميراً. انظري لقد وصلتني هذه الزهور منه مع هذه الورقة».

ولم تستطع ساشا أن تمنع نفسها من سؤال عمتها:

«ماذا يقول في هذه الورقة؟»

فضحكت العمة ماري وهي تقول:

«إن تعبيراته لطيفة للغاية، انه يقول في اهدائه الى أجمل سيدة في كان مع حبي... أسلوبه يعيد إليّ شبابي من جديد».

فابتسمت ساشا وهي تنحني فوق الزهور تستنشق عبيرها. كانت الزهور تبدو جميلة وقد توسطتها وردة حمراء اللون، فلمست ساشا الوردة وهي تتذكر أن مارك أعطاها وردة مماثلة، لكنها داخل كرة من الكريستال ولن تذبل أبداً كما سيحدث لهذه الوردة. ثم التفتت إلى السيدة العجوز وهي تقول:

«حسناً، سأعود إلى المنزل، أنت تعرفين أن والدي، لن يوجه إليّ أي أسئلة، لكنني

فضلت الحضور إليك أولاً لأقول لك كل شيء، حتى لا تشعري بالاستياء إذا لم يحضر مارك لزيارتك مرة أخرى».

«لا يا عزيزتي، لم أكن لأشعر بالاستياء لذلك أبداً، فالانسان في مثل سني يعيش يومه فقط ولا يفكر في شيء آخر. صدقيني يا ساشا كل شيء سيكون على ما يرام، وستتغلبين على هذا الموقف يا طفلتي الصغيرة».

ورفعت ساشا يد السيدة العجوز لتضعها على خدها في حنان قائلة:

«أعرف ذلك يا عمتي... وأشكرك لاستماعك اليّ. كنت أعرف أنك ستتفهمين الموقف».

وظلت ساشا مع عمتها حوالي ساعة اتصلت خلالها بمطار نيس حيث حجزت مقعداً على إحدى طائرات اليوم نفسه ثم غادرت منزل العمة ماري بعدما وعدتها بالكتابة إليها فور وصولها.

كان الوقت متأخراً جداً عندما توقفت سيارة الأجرة التي استقلتها ساشا من المطار أمام منزلها الذي يقع في طريق هادىء، تحيط به الأشجار، وكان المنزل مظلماً تماماً كما توقعت لأنها لم تتمكن من الاتصال بوالدها في فرنسا لتبلغه بقدومها.

ودخلت ساشا إلى المنزل حيث تركت حقائبها في البهو ثم توجهت إلى حجرة والدها وهي تقول في صوت هادىء:

«أبي... أنا ساشا... هل أنت نائم؟»

«ماذا... ساشا أهلاً يا ابنتي تعالي إنني لست نائماً».

دخلت ساشا إلى الغرفة وكان والدها يجلس في سريره، فقال وهو يمد يده ليأخذ نظارته عن الطاولة الصغيرة المجاورة:

«يا إلهي... هل مضت الأيام بهذه السرعة... كنت أعتقد...»

ولكن ساشا قاطعته قائلة وهي تقبله فوق وجنته:

«لا يا أبي... إنك على حق... فضلت العودة باكراً وهذا كل ما في الأمر».

«آه... حسناً وها أنت قد عدت... هل تشعرين بالجوع؟»

فابتسمت ساشا إذ كانت تعرف أن والدها قليلاً ما يفكر في الطعام أثناء النهار وهو منهمك في الرسم، أما أثناء الليل فكثيراً ما كان يتوجه إلى المطبخ لأخذ بعض الشطائر، فردت عليه بالإيجاب وهي تقول:

«أود أن أتناول بعض الحساء... هل ترغب في شيء منه؟»

«نعم... وسألحق بك بعد دقيقة ريثما أبدل ملابسي».

وغادرت ساشا غرفة والدها ونزلت إلى البهو وهي تشعر بالسعادة لعودتها إلى منزلها الذي لا يوجد فيه مكان لمارك وأمثاله. كانت ساشا تعيش في هذا المنزل الهادئ، مع والدها جون دونيلي الذي ورث عن والده شركة هندسية كبيرة. ولم يكن يميل إلى هذا العمل بل ركز اهتمامه الرئيسي على الرسم. واستطاع الجمع بين العمل في الشركة والرسم بنجاح تام. شخصيته الجذابة جمعت حوله عدداً من الراغبين في التعاون بإخلاص.

وتوجهت ساشا إلى المطبخ وأضاءت النور. كان مطبخاً متسعاً وكان بوب كلب الحراسة الضخم يقبع في أحد أركانه فلما دخلت ساشا رفع رأسه يتثاءب وما أن رآها حتى قفز من مكانه واتجه إليها في سعادة فانحنت ساشا تربت على ظهره وهي تقول:

«أين كنت عندما دخلت إلى المنزل إذن؟»

فغمز بعينه كأنه يعتذر لها وهو يهز ذيله في سعادة فألقت إليه ساشا بعض الفطائر، ثم أخذت تعد وجبة خفيفة. كان الوقت قد قارب منتصف الليل وبعد قليل سيبدأ يوم جديد وكان يوم الاثنين... لقد مضى أسبوع بأكمله منذ آخر لقاء

لها مع مارك وجدت نفسها رغماً عنها تعود بذاكرتها إلى المنزل المنعزل في فرنسا ووجه مارك وهو يستمع إليها تطلب منه عدم القيام بمحاولة مرة أخرى. وكيف أنه لم يحاول أن يناقشها أو يودعها بل خرج من المنزل في هدوء وقد شحب وجهه وكساه تعبير غريب لم تعرف منه إذا كان غاضباً... أو حزيناً، وربما لم يكن كذلك.

وانتبهت ساشا إلى صوت أقدام والدها يهبط الدرج ويتجه إلى المطبخ فأسرعت بإخراج إحدى المعلبات من الخزانة وهي تقول:

«سأعد كل شيء خلال دقيقة. اجلس يا أبي».

وأخذت ساشا تعد الحساء وتقطع الخبز بطريقة آلية وهي تفكر في مارك عندما كان يعد الطعام في المطبخ وقد وضع الشفة حول خصره، فقالت تحدث نفسها... «كفى هذا»... ولم تدرك ساشا أنها تحدثت بصوت مسموع إلى أن سألها والدها:

«كفى... ماذا...»

«أوه... لا شيء يا أبي. لقد كنت أحدث نفسي».

«آه... إنني أفعل ذلك أحياناً... إنها عادة سيئة. السيدة براون تعتقد أنني وصلت إلى سن الشيخوخة».

كانت السيدة براون تحضر إلى المنزل خمسة أيام خلال الأسبوع للعناية بنظافته وإعداد الوجبات لوالد ساشا أما في أيام العطلات فإن ساشا تتولى هذه المهمة، وتشعر بالسعادة وهي تجلس مع والدها بمفردها... وعندما كانت تحضر معها أحد أصدقائها إلى المنزل فإن والدها يعتذر بأنه متعب ليتركها بمفردها.

كان والد ساشا يعرف قصتها مع نيجل ولم يكن يحبه أبداً. ولكنه لم يحاول أن يظهر ذلك لساشا. ولم يدهشه بعد ذلك أن يعلم أن نيجل كان

متزوجاً وتشعر بالسعادة لأن ساشا عرفت بذلك قبل فوات الأوان.

ساشا ستقص عليه بعض ما حدث مع مارك ذات يوم ولكن ليس كل ما حدث.. إنها لم تقص على العمة ماري كل ما حدث بالتفصيل وتحاشت تماماً الحديث عن عناق مارك لها، وموقفه منها فقد كانت تشعر أن هذه المسائل خاصة جداً.

وجلست ساشا ووالدها يتناولان العشاء في سكون ثم توقف والدها لاعداد بعض الحليب بالكاكاو وشعرت ساشا بالارهاق فرفعت يدها إلى جبهتها، فسألها والدها:

«هل تشعرين بالصداع؟»

«لا.. ولكنني مرهقة... أستأذنك أن أصعد إلى غرفتي».

«حسناً. سأحمل إليك قدحاً من الحليب».

ولم تلاحظ ساشا وهي تغادر المطبخ وجه والدها، يراقبها وقد بدا عليه القلق. كان يعرف أن شيئاً ما حدث ولكنه لم يحاول أن يسألها.

كان ما زال أمام ساشا أسبوع قبل العودة إلى عملها وكم كانت تود العودة فوراً، لكن ذلك لا بد أن يثير العديد من التساؤلات والتعليقات فهيئة التحرير في الصحيفة الصغيرة حيث تعمل كانت كأنها عائلة واحدة، كل واحد يعرف الآخر تمام المعرفة .

واستيقظت ساشا متأخرة صباح اليوم التالي وهي لا تعرف ماذا تفعل خلال الأيام المتبقية من عطلتها، وسمعت وهي ترتدي ملابسها في غرفة نومها صوت المكنسة الكهربائية فأدركت أن السيدة براون وصلت إلى المنزل فنزلت من غرفتها وهي تعد نفسها للاجابة على أسئلتها لأن السيدة براون كانت تعرف أن ساشا لن تعود إلى المنزل قبل أسبوع.

وجلست ساشا تتناول افطارها في المطبخ، والدها ذهب إلى عمله كالعادة كل يوم اثنين، ثم يحاول التفرغ بعد ذلك للرسم في الأستوديو الخاص به في المنزل والذي لا يسمح لأحد غير ساشا بالدخول إليه.

واتجهت ساشا في الطريق إلى مكتب البرق والبريد حيث تبعث ببرقية إلى العمة ماري تبلغها فيها أنها عادت إلى المنزل بسلام. ثم اتجهت إلى الحديقة العامة حيث جلست على إحدى الأرائك بينما انطلق بوب يطارد الطيور.

وشعرت ساشا وهي تجلس بسكون في الحديقة أنها بدأت تعود إلى حالتها الطبيعية اذ كانت تتمتع بشخصية قوية واقنعت نفسها بأنه لا طائل في التفكير بأشياء يصعب تحقيقها.

وعندما عادت إلى المنزل بعد حوالي ساعة قضتها في الحديقة تفكر في أمرها كانت قد تغلبت إلى حد كبير على ضعفها وصممت أن تعود إلى حياتها الطبيعية وكأن شيئاً لم يكن.

وعندما حان موعد الغداء، اتصلت هاتفياً بصديقتها جانيت التي كانت تعمل سكرتيرة... وكانت صداقتهما تعود إلى زمن الدراسة وميولها واحدة في كل شيء، وكانت في مثل عمرها تماماً في الحادية والعشرين.

وجاءها صوت جانيت تسأل في دهشة:

«ماذا كنت تفعلين في انكلترا بحق السماء... كنت أنتظر وصول رسالة منك».

«إنها قصة طويلة ستعرفينها عندما أراك... هل لديك ما يشغلك الليلة هناك فيلم أود مشاهدته».

«لدي بعض الأشغال البسيطة. هل يمكنك أن تتصل بي في الساعة السادسة، بعد الانتهاء من تناول طعامي».

ووضعت ساشا السماعة وهي تفكر في جانيت اذ كانت لها افضل

صديقة في محنتها مع نيجل. لم تظهر الكثير من الفضول لكنها كانت متفهمة تماماً لظروفها. فهل يمكنها أن تخبرها بكل شيء عن مارك؟ ربما تفعل ذلك عندما تراها.

كان الفيلم لطيفاً ومسلياً وقد استمتعت به ساشا إلى درجة لم تكن تتوقعها. ثم توجها بعد انتهاء العرض إلى أحد المقاهي حيث تناولا قدحين من القهوة وأخذت جانيت تقص على ساشا آخر الأنباء. ولم تحاول أن تسألها عن السبب في عودتها السريعة إلى المنزل. ربما كانت تشعر بأن شيئاً ما حدث. وبينما هما في طريق عودتها إلى المنزل أخبرتها ساشا بكل ما حدث لها فقالت جانيت:

«أوه يا ساشا أنه شيء لا يكاد يصدقه العقل. إنني بالطبع أعرف أنك قوامين الحقيقة ولكنني لو قرأت ذلك في إحدى الصحف لاعتقدت أنه مجرد خيال ادبي».

ثم توقفت قليلاً قبل أن تقول:

«هذا الشخص المدعو مارك يبدو لي مما سمعته جذاباً. هل آلمك كثيراً ما حدث؟»

فهزت ساشا رأسها بالايجاب وهي تقول:

«نعم. فإنني أتألم كثيراً يا جانيت. ولكنني سأتغلب على هذه الآلام. تغلبت من قبل على آلام فراق نيجل أليس كذلك؟»

فهزت جانيت رأسها مصادقة على كلامها ثم قالت في تردد:

«سأذهب إلى حفل مساء الأربعاء المقبل...»

وهمت ساشا بمقاطعتها ولكنها استطردت تقول:

«لا... انتظري... أعرف أنك لا تريدين الذهاب معي وأنك لن تستمتعي بوقتك ولكن يجب أن تحاولي. وبالتدريج ستتغلبين على آلامك لن تخسري شيئاً.

وبالمناسبة انتهت علاقتي بروبرت في الأسبوع الماضي».

«أوه يا جانيت كم أنا آسفة لذلك. لماذا لم تخبريني من قبل وتركتني أستطرد في الحديث عن متاعبي».

فضحكت جانيت وهي تقول:

«الأمر لا يهم... صدقيني يا ساشا. أصبح مسيطراً إلى درجة كبيرة في الفترة الأخيرة وما عدت أطيقه... وفجأة التفتت إليه في أحد الأيام وقلت له:

«لا أتخيل أنه يمكنني أن أرى وجهك صباح كل يوم على مائدة الافطار طول حياتي».

ثم أضافت وهي تهز كتفيها:

«ولذلك أنهينا قصة حبنا في هدوء وبدون غضب. وربما يحضر إلى الحفل الليلة».

«ولكنك كنت على وشك اعلان خطبتك إليه في عيد ميلادك؟»

«على أي حال. كان من حسن حظي أنني اكتشفت عدم رغبتي في الزواج منه قبل فوات الأوان. والآن ما رأيك في الحضور إلى الحفل؟»

حسناً. سأحضر وشكراً لك. وإذا كان يمكنك التغلب على مشكلتك في الحب فمن الطبيعي أنه يمكنني ذلك أيضاً».

وافترقتا وتوجهت ساشا إلى المنزل وهي تشعر بأنها أحسن حالاً منذ قدمت برفقتها في الخارج وها هي قد اتفقت مع جانيت على الذهاب معها إلى الحفل في المساء. وفكرت في أنها لو حاولت شغل وقتها بهذه الطريقة سيمكنها التغلب على آلامها لفراق مارك وربما يصبح كل ما حدث لها معه مجرد ذكرى باهتة بمرور بضعة أيام أخرى.

وجاهدت ساشا نفسها كثيراً حتى لا تتراجع عن الذهاب إلى الحفل كما وعدت صديقتها ومساء الأربعاء استعدت للذهاب بالفعل وارتدت ثوباً جميلاً

أظهر جمالها. وكان الحفل يقام في منزل إحدى صديقات جانيت على بعد بضعة أميال من منزلها، وكانت جانيت قد اتفقت مع ساشا أن تمر بها في منزلها لاصطحابها، لأنها لم تكن تعرف الطريق. وأصرّ والد ساشا على ألا تذهب بسيارتها وأن تذهب في سيارة تاكسي لئلا تقود سيارتها في طريق العودة وهي مجهدة. وقد وافقته ساشا على ذلك لأنه نادراً ما كان يتدخل في شئونها ولأنها وجدت كلامه صحيحاً.

وغادرت الفتاتان المنزل في الثامنة مساء، وعندما وصلتا إلى مكان الحفل شعرت ساشا بادئ الأمر بالحرج والخجل وهي تدلف إلى الحجرة التي ازدحمت عن آخرها بالضيوف من الجنسين يرقصون على أنغام تنبعث من أحد مسجلات الصوت في ركن الغرفة الواسعة.

وجاهدت ساشا لتبدو طبيعية. وأخذت تتلفت حولها فوجدت الجميع يمرحون ويضحكون فشعرت بالحزن. لكنها صممت على أن تتغلب على مشاعرها ومحاولة الاستمتاع بوقتها بقدر الامكان.

ولم يكن ذلك صعباً بالنسبة لساشا فقد كانت جذابة يتهافت الشباب للتعرف اليها. وسرعان ما تقدم شابان حيث كانت تجلس قرب جانيت وتقدم أحدهما وانحنى أمامها وهو يقدم نفسه قائلاً:

«أدعى بول وأنت ساشا أليس كذلك؟ ولقد حجزت الرقصة التالية».

وكان الزحام قد خف في الغرفة قليلاً اذ توجه الكثير من الموجودين إلى الغرفة المجاورة لتناول الطعام. أما ساشا فبقيت في مكانها ولم تكن تشعر بالجوع. ونظرت إلى الشاب المشوق القوام الذي وقف أمامها وابتسمت وهي تقول:

«أحقاً ما تقول... ولكن هل يحجزون الرقصات هنا مقدماً؟».

وتركها الشاب وتوجه إلى حيث يوجد مسجل الصوت ووضع اسطوانة من

فرانك سيناترا... وكان يتحرك بحرية تامة كأنه يمتلك المكان وخامر ساشا الظن أنه ربما كان حقاً يمتلكه فهي لم تكن تعرف أصحاب الحفل.

وانطلق صوت الموسيقى هادئاً وسرعان ما شعرت ساشا بنوع من الاسترخاء، وتملكها شعور بأنه سيكون من السهل عليها الاستمتاع بوقتها اذا كفّت عن التفكير فيما مضى.

وانتبهت ساشا إلى بول يقف بجانبها وكانت الغرفة خالية بعدما ذهب الجميع لتناول الشراب والطعام... وجدت نفسها تجلس وحيدة مع هذا الشاب... كان يبدو في الخامسة والعشرين من عمره واثقاً من نفسه تماماً ونظرت إليه فلاحظت أنه جذاب إلى درجة كبيرة... وصحبها إلى الشرفة ثم اتجها إلى أحد الممرات المظلمة وفجأة، ودون أن تدري ماذا حدث احتضنها بدون أن يترك لها أي فرصة للاعتراض.

وانتهزت ساشا فرصة توقفه قليلاً لالتقاط أنفاسه وقالت وهي تحاول التخلص منه:

«لحظة أرجوك... أياً كان اسمك إنني لا...

ولكن الشاب قاطعها قائلاً:

«إن اسمي بول جامسون وقدمت اليك نفسي من قبل في الداخل».

ثم أردف ضاحكاً:

«لا تقولي أنك نسيت اسمي».

فقالت ساشا:

«حسناً يا بول إنني لم...»

ولكنه لم يتح لها الفرصة لتتم حديثها فقد قاطعها من جديد قائلاً:

«لا تقولي شيئاً... إنني أشعر بضعف أمام النساء الجميلات وأنت جذابة جداً وقد

تجاهلتني طوال المساء.»

ثم أحاط خصرها بذراعه فضحكت ساشا رغماً عنها وهي تقول:

«ولكنني لم أرك في حياتي من قبل».

فقال بول وقد رآها تنفجر بالضحك:

«هذا أفضل... والآن تعالي ندخل ونتناول بعض الطعام لأنني أكاد أموت جوعاً».

وبعد ساعتين بدأ الزحام يخف في الغرفة وبدأ الجميع بالانصراف وكانت ساشا تجلس مع بول يتجاذبان الحديث فلم تشعر بمرور الوقت فقد كان بول متحدثاً لبقاً للغاية واستمتعت ساشا بصحبته لكنها كانت تشعر أنه بالنسبة اليها مجرد شاب جذاب يمكنها أن تقضي معه بعض الوقت لأنه لم يثر في نفسها أي مشاعر أو عاطفة.

وألقى بول نظرة سريعة إلى ساعة يده وسألها:

«هل يمكنني أن أوصلك إلى المنزل؟»

وأخذت ساشا تجول بعينيها في أنحاء المكان تبحث عن جانيت التي كانت تقف في أحد أركان الغرفة وقد انشغلت تماماً عن كل ما حولها بحديث هامس مع أحد الشبان.

وأجابت ساشا:

«حسناً... ولكنني حضرت مع جانيت ويجب أن أستأذنها».

فنظر بول إلى حيث تقف جانيت وقال ضاحكاً:

«ولكن يبدو أن جانيت وجدت من يعتني بها ولن تكون في حاجة إلى صحبتك... في أي حال يمكنك الاستئذان منها».

وتوجهت ساشا إلى جانيت لتسألها إذا كانت ترغب في العودة معها.

وبدا واضحاً لها أنها لا ترغب في ذلك فعادت ساشا إلى حيث يقف بول

مبتسماً في انتظارها وقالت:

«كنت على حق... وجدت جانيت من يعتني بها فعلاً... ولكن اسمع... إنني أريد أن أوضح لك بعض الأمور منذ البداية إنني...»

فأسرع بول يقاطعها وهو يقول:

«أعرف تماماً ما تريدين قوله ولست في حاجة لأن تقولي لي ذلك...»

«أقول ماذا؟»

«يجب أن أتصرف معك بأدب تام... وألا أقود السيارة بسرعة وأن أضع يدي على عجلة القيادة وألا... ألا أدعي نفاد الوقود في إحدى المناطق المنعزلة».

فضحكت ساشا وهي تقول:

«هذا كل ما أردت قوله بالفعل... في أي حال إذا كنت تشعر بأنك لن...»

ولكن بول قاطعها من جديد وهو يقول:

«كلا... تعالي الآن فلنذهب وأعدك بأنني سأكون عند حسن ظنك...»

والتزم بول بوعده لها طوال الطريق وبعد حوالي عشرين دقيقة وصلا إلى المنزل وأوقف بول السيارة والتفت إليها قائلاً:

«حسناً... ها قد وصلنا... متى يمكنني أن أراك مرة أخرى؟»

فردت ساشا قائلة:

«لن تراني مرة أخرى، أعني... حسناً، تمتعت بصحبتك هذا المساء إلى درجة كبيرة ولكنني لا أرى داعياً».

فقاطعها بول قائلاً:

«آه هل هناك قصة حب أخرى... ومن هو الشخص الآخر حتى أحطم أنفه».

فابتسمت ساشا رغماً عنها وهي ترد قائلة:

«شيء من هذا القبيل».

فقال بول:

«حسناً... ما دمنا قد تحدثنا بصراحة فأرجو أن توافقي على لقاء رجل يمرّ بظروف مشابهة إذا كنت تفهمين ما أعني».

«تعني أنت!»

فأجاب بول وقد شاب صوته شيء من الحزن:

«نعم أنا. فخلف هذا المظهر المرح يختفي قلب يتألم... والآن سأكون أميناً معك... ما رأيك في أن تمضي في علاقتنا معاً على اساس من الحب الأفلاطوني؟»

فنظرت إليه ساشا وبعد تردد ابتسمت وهي تقول:

«حسناً... يبدو لي هذا الحل معقولاً».

«حسناً... فلنتصافح... أو ربما سمحت لي بقبلة أفلاطونية!»

فضحكت ساشا وهي تقول:

«حسناً... إذا كنت تريد ذلك حقاً».

وقبّلها بول على وجنتها ومضى. ووقفت ساشا تراقبه يبتعد في السيارة بعدما اتفقا على اللقاء بعد يومين لتناول العشاء معاً.

وعندما دخلت ساشا إلى غرفتها هذه الليلة واستلقت في فراشها... استغرقت في نوم عميق لأول مرة منذ ما يزيد على أسبوع منذ فراقها لمارك.

وعندما حلّ مساء يوم الجمعة موعد لقائها مع بول استعدت ساشا للقائه وقد وضعت ثوباً بسيطاً أزرق اللون فبدت جذابة للغاية... وصحبها بول إلى أحد المحلات العامة على الطريق وكان يبعد عن منزلها حوالي سبعة أميال... وكان المكان جميلاً شاعرياً. ووجدت ساشا نفسها ولدهشتها الشديدة تستمتع بقضائها الوقت مع بول وتتوقف عن التفكير في مارك لمدة نصف ساعة كاملة.

وبينما جلسا يتناولان طعام العشاء على ضوء الشموع أخذ بول يقص عليها قصته... كان الحزن يبدو واضحاً على وجهه وكان يبدو في حاجة إلى من يستمع إليه ويسرّي عنه فجلست ساشا تستمع إليه في اهتمام شديد.

وقال بول أنه كان يحب فتاة اسمها آن. واستمرت علاقتهما لما يزيد على عام ثم حدث بينهما خلاف منذ بضعة أسابيع حول مسألة يعتبرها هو مهمة جداً بالنسبة اليه... كان بول معتداً بنفسه ولهذا رفض قبول عرض والدها وهو رجل أعمال غني للعمل معه على أن يضاعف له الأجر الذي يتقاضاه في عمله الحالي ولم تفهم آن سرّ رفضه هذا العرض ولكن بول كان يفضل الاستقلال في عمله وأصرّ على الرفض وتطوّر الخلاف بينهما ليصل إلى نقطة الانفجار وافترقا... وتوقف بول قليلاً بعدما انتهى من سرد قصته ثم قال وهو ينفض دخان سيكارته ببطء إن آن لم تستطع أن تفهم موقفي، كانت تعتقد أنني يجب أن أكون سعيداً بالعمل مع والدها وخاصة أن العرض مغر... ولكنني أريد أن أشق طريقي في الحياة وحدي كما أشاء بدون أن أعتمد على أحد...ولو أنها كانت تحبني حقيقة لأدركت ذلك ولعرفت أنني لا أقبل أن أكون تابعاً لأي شخص أياً كان.

وسألته ساشا:

«ألم تحاول لقاءها مرة أخرى لمناقشة هذه المسألة؟»

نظر إليها وقد بدت في عينيه نظرة كبرياء، وهو يقول:

«لا، لن أذهب إليها زاحفاً على ركبتي، وهي أيضاً أكثر مني عناداً ولهذا...»

ثم هز كتفيه في يأس.

وتنهدت ساشا وودت لو أنها قصت عليه قصتها مع مارك لكنها لم تكن تقوى على ذلك... ومدّ بول يده فأمسك بيدها عبر المائدة وهو يقول وقد

استعاد مرحه:

«تعالي الآن لنرقص ولنرح فلم نحضر إلى هذا المكان الجميل لأقص عليك هذه الأشياء المحزنة... هذا بالاضافة إلى أنني... أراك جذابة جداً ولولا هذا الاتفاق الأفلاطوني بيننا...»

فابتسمت ساشا وقد شعرت أنه عاد إلى طبيعته من جديد وتمنت لو اتيحت لها الفرصة لمساعدته في العودة إلى حبيبته.

وفي اليوم التالي دعاها بول للذهاب معه إلى حفل يقيمه أحد أصدقائه ورحبت ساشا بذلك لأنها كانت قد صممت أن تشغل وقتها بأي وسيلة حتى لا تفكر في مارك وبعد حوالي نصف ساعة من وصولها إلى مكان الحفل بدا بول متوتراً للغاية وكان يبدو عصبياً وهو يختلس النظرات إلى إحدى الزوايا... ونظرت ساشا إلى حيث تتجه نظراته فرأت فتاة شقراء ممشوقة القد جميلة تقف مع أحد الشبان وهي تختلس النظارت إليهما ولقد بدا الألم والغيظ على وجهها.

فنظرت ساشا إلى بول متسائلة:

«هل أن موجودة في هذا الحفل؟»

فأجاب بول في حزن:

«نعم... ولكنني أقسم لك أنني لم أكن أعرف أنها ستحضر وإلاّ ما حضرت».

ثم قال في عصبية وهو يحاول الانصراف:

«لا يمكنني البقاء في هذا المكان أكثر من ذلك...»

ولكن ساشا أمسكت بذراعه وردت في هدوء:

«بل ستبقى ولن أدعك تتصرف».

ونظرت ساشا إلى وجه الفتاة وأدركت على الفور أنها تحب بول وأنها

شعر بالغيرة لوجوده معها وشعرت ساشا أنه لو كانت النظرات تقتل لأصبحت الآن صريعة نظرات الغيرة التي كانت أن توجهها إليها.

وبدا وكأن الفتاة تريد الانصراف بدورها، لكن الشاب الذي كان يقف معها مسك بذراعها ليمنعها من ذلك. وشعرت ساشا بالألم وهي ترقص مع بول اذ كانت أن تراقبها ووجهها ينطق بالألم وكانت ساشا تدرك حقيقة شعورها وتعرف مدى ما تعانيه، ولكنها شعرت أن أن سعيدة الحظ ويمكنها بجهود بسيط العودة إلى بول في هذه اللحظة وخطرت في ذهن ساشا فكرة صممت على تنفيذها متى اتيحت لها الفرصة لاعادة المياه إلى مجاريها بين بول و أن اذ كانت تود مساعدة بول الذي ساعدها، بدون أن يشعر، على لتغلب على آلامها في الأيام الأولى التي أعقبت فراقها لمارك.

وأخيراً سنحت لساشا هذه الفرصة حين شاهدت أن تتجه إلى الطابق العلوي فأسرعت بالاعتذار من بول بأنها تريد اصلاح زينتها وتبعت أن إلى الطابق العلوي ورأت أن تتجه إلى إحدى الغرف حيث توجد المعاطف فتبعتها وبعدما دخلت أقفلت الباب وراءها فالتفتت أن إليها في دهشة وما أن عرفتها حتى اندفعت الدماء إلى وجهها فبادرتها ساشا قائلة:

«إنك لا تعرفينني... ولكنني أؤكد لك أن هناك شخصاً يحبك إلى درجة الجنون وهو موجود في الطابق الارضي ويدعى بول».

والتفتت أن واقفة وهي تقول:

«أعتقد أنني لا...»

ولكن ساشا لم تدعها تكمل حديثها فقد قاطعتها قائلة:

«استمعي إليّ جيداً لأنني أريد مساعدتك وأنا أقدر شعورك لأنني أيضاً أحب مثلك، ولكن الشخص الذي أحبه لا يبادلني شعوري... التقيت بول خلال

حفل أقامته إحدى الصديقات في الأسبوع الثالث وخرجنا بضع مرات معاً لأننا بحاجة الى المواساة. لكنني لا أحب بول وهو أيضاً لا يحبني، أنا معجبة به فقط فهو شخص لطيف، ولكنني شعرت بأنه غير سعيد وأود مساعدته، لأنني... أعرف شعوره وأدرك مدى الألم الذي يعانيه»

واضطربت ساشا وقد تراءى لها في هذه اللحظة وجه مارك فقالت في صوت مضطرب:

«آسفة... ولكنني أريد أن أقدم مساعدتي فقط».

فجلست آن إلى جوارها وهي تقول:

«أنا آسفة أيضاً... إنني... إنني أصدقك... ما اسمك؟»

« ساشا دونيللي...»

«وأنا آن كارلين...»

ثم سألتها آن في هدوء:

«ولكن ما الذي يمكنني عمله؟»

فسألتها ساشا:

«هل تحبينه؟»

فهزت آن رأسها بالايجاب وهي تقول:

«أشعر بالتعاسة منذ فراقه... ولكن عندما شاهدتكما الليلة معاً...»

فقاطعتها ساشا قائلة:

«هيا تنزل إلى الطابق الأرضي الآن».

«ولكن ما الذي تنوين عمله؟»

«تعالي وسترين بنفسك، ألا تثقين بي يا آن؟»

فردت آن بالايجاب وصحبتها ساشا إلى الطابق الأرضي واتجهتا إلى

حيث يقف بول الذي نظر إليهما في ذهول وهما تقتربان منه وقد وضعت ساشا ذراعها في ذراع آن...

وتقدمت منه ساشا وهي تقول لآن:

«أحب أن أقدم اليك بول جامسون».

ثم أضافت:

«بول هذه آن كارلين التي تود أن تنضم إلينا».

وأدركت ساشا في هذه اللحظة أن محاولتها نجحت فقد بدا ذلك واضحاً في البريق الذي لمع في عيني آن وهي تنظر إلى بول وفي الدفء والحنان الذي بدا في عيني بول وهو ينظر إليها.

ثم التفتت إليهما ساشا قائلة:

«أشعر بصداع مفاجيء... سأذهب لأستدعي سيارة تاكسي للعودة إلى المنزل».

فقال بول:

لا... لن تذهبي وحدك».

ثم التفت إلى آن يسألها:

«هل لديك مانع في أن توصل ساشا الى منزلها... خاصة أن الجو هنا حار للغاية».

فوافقته آن على ذلك وهي تنظر إليه مبتسمة.

وعندما وصلوا الى المنزل دعتهما ساشا لتناول قدح من القهوة معها وكانت الساعة قاربت الثانية عشرة وكان نور المنزل مضاء برغم أن والدها لم يكن معتاداً على السهر.

ولكن آن و بول تبادلا النظرات ثم ابتسما وقال بول:

«شكراً يا ساشا، ليس الليلة فلدينا ما نريد مناقشته والوقت الآن متأخراً، في أي

حال شكراً على كل شيء».

«شكراً لك أنت فقد كنت عوناً لي عندما كنت في حاجة لمن يقف بجانبي».

ونزل بول من السيارة وهمس لساشا وهو يفتح لها باب السيارة الخلفي لتهبط.

«سنبعث لك بدعوة لحضور حفل زفافنا».

ووقفت ساشا تلوح لهما وهما يبتعدان بالسيارة ثم اتجهت إلى باب المنزل تفتحه وهي تعجب كيف أن والدها ما زال مستيقظاً حتى هذه الساعة... وعندما فتحت الباب كان أول ما تراءى إلى أذنها أصوات رجال يتحدثون ثم اندفع كلبها بوب لتحيتها ثم سمعت صوت والدها يقول:

«ها هي قد وصلت مبكرة... لم أكن أتوقع حضورها الآن».

واتجهت ساشا في بطء إلى باب المطبخ وفي داخلها شعور بأنها سترى مارك، وعندما وقفت بباب المطبخ رأت شخصاً يقف أمام الموقد وظهره لها وعندما استدار رأت وجهه كان مارك...

٧ ـ شكراً للعمة

استندت ساشا إلى الباب لتمنع نفسها من السقوط ثم سمعت صوت مارك يقول لها:

«أهلاً ساشا».

فردت وهي ما زالت في مكانها:

«أهلاً...»

كان مارك ووالدها يعدان القهوة وكان مارك يبدو أنيقاً وهو يرتدي حلة زرقاء اللون وقميصاً أبيض وربطة عنق مناسبة، وبدا لها مختلفاً تماماً وأخذت تنظر إليه وقد اندفعت الدماء إلى وجهها. وسمعت والدها يقول:

«اسمحا لي بالانصراف للحظة... يجب أن...»

ولم تكن ساشا تستمع إليه... وتنبهت أخيراً إلى أنها تقف مع مارك بمفردها في المطبخ وقد ذهب والدها وتبعه الكلب بوب.

وأخيراً تحدثت ساشا فسألته في تلعثم وهي تحاول جاهدة التماسك:

«كيف... كيف حضرت إلى هنا؟»

«أخذت الطائرة إلى لندن ثم أخذت قطاراً لأصل إلى هنا... ذهبت أمس لزيارة العمة ماري حيث قضيت معظم اليوم معها وبعد أن تركتها توجهت إلى مطار نيس لأحجز تذكرة على الطائرة ولكنني لم أجد مكاناً خالياً سوى اليوم.

وتقدم مارك من ساشا لكنها تراجعت إلى الوراء وهي تقول:

«أرجوك لا تقترب مني أكثر من ذلك».

كانت تشعر أنها على وشك الاغماء، وكانت تخشى أن يقترب منها أو يلمسها لأنها شعرت في هذه اللحظة أنها لن تستطيع أن تقاومه أكثر من ذلك وأنها تود لو ترتمي بين أحضانه... ولكن يجب عليها التماسك حتى لا يلاحظ ذلك. فقال مارك:

«إذا كنت تعتقدين أنني حضرت كل هذه المسافة لتطرديني من جديد فأنت مخطئة... لماذا لم تخبريني في منزل السيدة كاسيل بالسبب الذي من أجله طلبت مني عدم رؤيتك مرة أخرى؟»

فتنفست ساشا بعمق ثم قالت:

«من المؤكد أنك تعرف السبب... هل من الضروري أن أقول لك السبب بنفسي؟ حسناً. إنني لا أصادق الرجال المتزوجين».

«ولكنني لست متزوجاً يا ساشا».

فهزت ساشا رأسها ولوت شفتها في احتقار وهي تقول:

«إنني أعرف أن الكذب شيء سهل بالنسبة اليك... انه جزء من عملك أليس كذلك؟ ولكن أن تنكر أن لك زوجة وأطفالاً...»

فقاطعها مارك قائلاً:

«إنها ليست زوجتي... إنها شقيقتي وأنا لست والد الأطفال ولكنني خالهم. أقسم لك على ذلك. لست متزوجاً ولم أتزوج في حياتي وليس لي أطفال».

وشعرت ساشا بدوار وأنها على وشك السقوط فقالت:

«إنني... إنني لا...»

ولكنها لم تستطع أن تكمل حديثها فمدت يدها فأسرع مارك إليها ليقف

بجانبها ووضع ذراعه حول خصرها، ولم تحاول أن تبتعد عنه أو تقاومه بل ارتمت بين أحضانه وغابت في عناق طويل.

وأخيراً التقط مارك أنفاسه ونظر إليها في حب وحنان وهو يقول:

« ساشا. يا عزيزتي».

قال مارك ذلك باللغة الروسية ثم أضاف بالانكليزية:

«ألا تعرفين أنني أحبك أكثر من أي شيء في الحياة... لقد تحملت من العذاب ما لم يتحمله شخص آخر منذ ذلك اليوم الفظيع عندما قلت أنك لا تريدين رؤيتي مرة أخرى».

كانت ساشا تقف مستندة إلى خزانة المطبخ وكان مارك يقف ملاصقاً لها وقد أحاطها بذراعيه فمنعها من الحركة. لكنها لم تكن تريد أن تتحرك أو تتركه. كانت تتمنى لو تظل هكذا بين ذراعيه إلى الأبد.

وهمست ساشا قائلة:

«أنا أحبك أيضاً... ولم تكن الشخص الوحيد الذي تألم فقد تألمت كثيراً لفراقك... ولكن كيف... ولماذا قال واين ذلك».

« واين لم يكذب بل أخبرك بما سمعه واعتقد أنه الحقيقة... لو أنني عرفت ذلك قبل أن يغادر المنزل... شعرت بأنك تغيرت بعد عودتك معه من الخارج ولم أعرف السبب في ذلك... وعندما أخبرتني في صباح اليوم التالي أنك لا تريدين رؤيتي مرة أخرى... منعتني كبريائي من محاولة معرفة السبب لأنني لم أتعود التذلل لأي انسان مهما كان».

ورفع مارك رأسه بكبرياء وهو يقول ذلك ثم ابتسم فرفعت ساشا يدها وأخذت تتحسس وجهه في حنان وحب فانحنى مارك يمسح جبهتها وهو يقول

«لاتفعلي ذلك يا ساشا... أنت لا تعرفين تأثير ذلك علي».

فضحكت ساشا وفاض وجهها بالسعادة فأضاف مارك:

«عندما هربت مع أختي أنا منذ عدة سنوات كان علينا التظاهر بأننا زوجان... ربما كان ذلك هو السبب في أن واين قال لك أنني متزوج، لأنه لا بد أنه سمع بذلك من أي شخص ولم تتح له الفرصة لمعرفة الحقيقة... وبعد هروبنا تزوجت أنا من ضابط بحري فرنسي وافتتحنا معاً أحد المطاعم... أما الآن فقد استقال زوجها من وظيفته وأفكر في أن أبيع له حصتي في المطعم.. ولقد رزقت شقيقتي من زوجها بطفلين».

ثم ضحك مارك وهو يضيف:

«ونسيت أن أقول لك أيضاً أن عندها قطة تدعى مينو تصطاد الفئران، وأنا الآن رجل عجوز في الثالثة والثلاثين من عمري... وأكثر شيء أحبه هو الطهي... ولكن ليس مثل حبي لك».

وأخيراً تركها مارك فقامت بإعداد قدحين من القهوة وجلسا معاً إلى المائدة يتناولانها وهو يمسك بيدها وكأنه يخشى أن تبتعد عنه مرة أخرى.

ثم سألته ساشا:

«ولكن لماذا ذهبت لزيارة العمة ماري».

«لأنني وعدتها بذلك... وكنت على وشك العودة إلى بلدتي».

ثم ربت بلطف على يدها وهو يضيف:

«لولا العمة ماري لما حضرت إلى هنا، فقد أبلغتني بأنك تحبينني».

وبدت الدهشة على وجه ساشا فضحك مارك وهو يقول:

«نعم.. قالت لي ذلك... إنها سيدة حكيمة للغاية...ثم أبلغتني بأنك رفضت مقابلتي مرة أخرى لأنني متزوج...».

وتوقف مارك قليلاً ليأخذ رشفة من قدحه ونظرت ساشا إليه... لقد

لازمها وجهه ولم يفارقها لحظة واحدة منذ لقائهما العاصف في فرنسا ثم أضاف مارك:

«شرحت لها الأمر وأوضحت أنني لم أتزوج من قبل ثم تركتها لأتوجه إليك في منزل السيدة كاسيل، لكنها أبلغتني بأنك عدت إلى انكلترا».

وأغمض مارك عينيه ورفع يدها إلى فمه يقبلها في حنان ثم قال:

«لا تستطيعين أن تتخيلي شعوري في ذلك الوقت، حدثتني العمة ماري بكل شيء عنك ولكنني لم أكن في حاجة إلى ذلك، كنت أشعر أنني أعرفك جيداً... بل أشعر أنني عرفتك طوال حياتي، ولقد كرهت نفسي عندما كنا في المنزل وكنت أعاملك بقسوة انني لم أتعود أن أعامل أي فتاة بقسوة... كنت فظيعاً معك، إنني أعرف ذلك... هل يمكنك أن تسامحيني يا ساشا»

فردت ساشا في بساطة:

«ليس هناك ما يمكن أن أسامحك عنه. ليس هناك شيء على الاطلاق، ربما كان ما حدث بيننا من فراق فيه خير لنا، فقد شعرت بأنني لا يمكن أن أحيا بدونك...».

فسألها مارك:

«متى يمكننا الزواج؟ هل نتزوج غداً؟».

فضحكت ساشا وهي تقول:

«أوه... يا مارك غداً؟ كم أتمنى ذلك».

ولم تدر ساشا إلا وهي تندفع لتحتضن مارك!

وبعد شهر عقد قران ساشا و مارك... وكان احتفالاً بسيطاً حضره الأقارب والأصدقاء المقربون وكانت جانيت وصيفة العروس، كما حضر الاحتفال بول زوج شقيقة مارك الذي جاء إلى انكلترا خصيصاً لهذا الغرض.

وعندما خرجا من الكنيسة رأت ساشا أن تقف مع بول وابتسمت

ساشا لأنها لم تكن تدري ما إذا كانت ستراها مرة أخرى ولكن ها هي تراها يوم زواجها من مارك ونظرت ساشا إلى يد أن فرأت خاتماً من الماس يلمع في إصبعها.

كان هناك شخص واحد لم يحضر حفل زواجها وكم كان ذلك يحز في نفسيها... إنها العمة ماري التي لم تتمكن من السفر والحضور إلى انكلترا.

ولكن ساشا و مارك سافرا إلى باريس بعدئذ لمدة واستأجرا سيارة وتوجها إلى الجنوب وتوقفا في الطريق بالمطعم الذي تديره شقيقة مارك حيث أمضيا وقتاً ممتعاً مع عائلتها.

وبعد ذلك توجهت ساشا و مارك إلى كان حيث قضيا ليلتهما في أحد الفنادق. واستلقت ساشا في سريرها تنظر إلى الرجل الراقد بجوارها وقد انعكس ضوء القمر على وجهه فبهيٌ، لها أنها ما ما زالت في منزل السيدة كاسيل فمدت يدها تتحسس مارك لتتأكد أنه ينام إلى جوارها فعلاً وأنها لا تحلم فتحرك في نومه وهو يقول بالروسية:

« ساشا يا عزيزتي»

فابتسمت ساشا وهي تعتقد أنه يحاول تلقينها اللغة الروسية. وفي الصباح جلسا يتناولان الافطار في الشرفة الملحقة بغرفتهما فسألها وهو يمد لها يده باحدى القطائر:

«هل تعتقدين أنها ستفاجأ بزيارتنا»

«نعم أعتقد ذلك... ولولا حضورنا لزيارتها لما كنا نجلس الآن معاً في هذا المكان الجميل... حقاً إننا ندين للعمة ماري بالكثير.»

وبعد الافطار استقلا السيارة وتوجها إلى منزل العمة ماري وكانت تجلس

في الشرفة كأنها في انتظارها. وما أن رأتها حتى أخذت تلوح لها بيدها وأخذت تناديها وانحدرت الدموع على وجنتيها وصاحت تقول:

«هيا إلي... اصعدا... كم أنا سعيدة بحضوركما»

ولكن كان على العمة ماري الانتظار قليلاً لأن المصعد كان معطلاً وكان عليهما الصعود على السلم... وقد انتهز مارك هذه الفرصة ليقبل ساشا عند كل منحنى قبل أن يصلا إلى شقة العمة ماري التي تحركت ببطء صوب الباب لتحيتهما وهي تقول:

«لا أعرف ما الذي عطلكما ولكنني أشعر أنكما استغرقتما وقتاً طويلاً جداً في صعود السلم...»

قالت العمة ماري ذلك وهي تغمز وتقودهما إلى الداخل